

شَرْحُ الْبَيْضَاءِ فِي

عَقِيدَةِ السَّيْلَفِ، وَنَجَاةِ الْخَلْفِ

نَظَّمَ

أ. د. سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَيُونِي

شَرَّحَ

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ ابْنِ طَوْقٍ الْمُرِّي

البيضاء

في عقيدة السلف ونجاة الخلف

(مع العناوين التفصيلية)

نظم:

أ.د. سليمان بن عبدالعزيز العيوني

المقدمة

الحمدُ والصلاةُ.

- ١ الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ • الْوَاحِدِ الْكَرِيمِ
- ٢ مُصَلِّيًّا مُسَلِّمًا • عَلَى الرَّسُولِ مُكْرَمًا
- ٣ وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ • وَبَعْدُ: يَا أَحَبَّابِي

اسم المنظومة، وموضوعها.

- ٤ فَهَذِهِ (الْبَيْضَاءُ) • مَنْظُومَةٌ حَسَنَاءُ
- ٥ عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ • وَهِيَ النَّجَاةُ لِلْخَلَفِ

مصادر التلقي

- ١ قُرَأْنَا وَالسُّنَّةُ ١ بِفَهْمِ خَيْرِ الْأُمَّةِ
- ٢ أَكْرَمَ بِهِم مِّن سَلَفِ ٢ فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمَ وَاقْتَفِ

٣ وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا ٣ لَا زَائِغًا مُتَّبِدًا

الأصول الثلاثة

الأصل الأول: معرفة العبد ربه.

١ مَنْ رَبُّنَا؟ الرَّحْمَنُ ٤ مَعْبُودُنَا الْمَنَّانُ

٢ اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ ٥ يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه.

٣ وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ٦ مَعْنَاهُ: الْإِسْتِسْلَامُ

٤ لِلَّهِ طَائِعِينَ ٧ حَقًّا مُوَحِّدِينَ

الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه صلى الله عليه وسلم.

٥ ثُمَّ مَنِ النَّبِيُّ؟ ٨ مُحَمَّدٌ الزَّكِيُّ

٦ مُرْشِدُنَا لِلَّهِ. ٩ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ

٧ صَلِّ وَسَلِّمْ - رَبِّي - ١٠ عَلَى حَبِيبِ الْقَلْبِ

التوحيد وأنواعه

الغاية من خلق الخلق.

١ خَلَقْتُ لِلتَّوْحِيدِ ١١ وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ

النوع الأول: توحيد الربوبية.

٢ فَأَفْرَدُ الْخَلْقَ ١٢ بِفِعْلِهِ الرَّزَّاقِ

٣ مُدَبِّرٍ وَنَافِعٍ ١٣ وَمَالِكٍ وَرَافِعٍ

النوع الثاني: توحيد الألوهية.

٤ مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ١٤ بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ

٥ كَالذَّبْحِ وَالصَّلَاةِ ١٥ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ

٦ وَالنَّذْرِ وَالِدُّعَاءِ ١٦ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

٧ وَصَرْفُهَا لِعَيْبِهِ ١٧ شَرْكَ خِلَافِ أَمْرِهِ

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات.

٨ لَهُ صِفَاتُهُ الْعُلَا ١٨ وَاسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى، بِلَا

٩ تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ١٩ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

صفات الله قِسْمَانِ: ذَاتِيَّةٌ وَفَعْلِيَّةٌ.

١٠ فَرَبُّنَا عَظِيمٌ ٢٠ وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ

١١ فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا ٢١ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

١٢ وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ ٢٢ إِذَا تَجِي الْأَسْحَارُ

١٣ ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلَى ٢٣ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

من صفاته: كَلَامُهُ، وَمِنْهُ الْقُرْآنُ.

١٤ قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ ٢٤ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ

١٥ وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ٢٥ أَوْ نَاقِصٍ مَلْحُوقٍ

حِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ

١ فَلَتَحْمِيْنِ جَنَابَهُ ٢٦ وَطَهَّرْنَ رَحَابَهُ

الْمَنَاهِي اللَّفْظِيَّةُ.

٢ وَاحْلِفْ بِرَبِّ الْخَلْقِ ٢٧ لَا بِالنَّبِيِّ وَالْخَلْقِ

٣ وَلَا تَقُلْ: (مُطِرْنَا ٢٨ بِالنَّجْمِ، أَوْ أَخْصَبْنَا)

٤ وَ: (رَبُّنَا قَدْ شَاءَ ٢٩ وَشِئْتُ)، لَا سَوَاءً

٥ وَ(لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ ٣٠ لِلذَّنْبِ، وَالتَّحْشُرِ

٦ وَالِدَهْرَ لَا تَسُبًّا ٣١ وَالرَّيْحَ، تُؤْذِي الرَّبَّ

الْغُلُوُّ وَالتَّسَاهُلُ فِي الدِّينِ.

٧ أَوْ تَغْلَوْنَ فِي الدِّينِ ٣٢ أَوْ تُفَرِّطْنَ فِي اللَّيْنِ

٨ أَوْ تُطَرِّقْنَ نَبِيًّا ٣٣ أَوْ صَالِحًا وَلِيًّا

٩ أَوْ تَهْزَأْنَ بِإِلَهِهِ ۚ أَوِ دِينِهِ، يَا لَأَهِي ٣٤

التَّبَرُّكُ وَالتَّوَسُّلُ.

١٠ بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكُ ٣٥ وَمَا سِوَاهُ يُتْرَكُ

١١ وَجَازَتْ الْوَسِيلَةَ ٣٦ بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ

١٢ وَوَصَفِهِ وَالْأَسْمَاءَ ٣٧ ثُمَّ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ

تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِغَيْرِ اللَّهِ.

١٣ وَلَا تَسْأَلْ مَقْبُورًا ٣٨ أَوْ عِنْدَهُ الْعُقُورَ

١٤ وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَ ٣٩ وَالسَّحَرَ وَالشَّأْوَمَا

١٥ وَلَا تُصَدِّقْ بَرْجَا ٤٠ وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا

١٦ وَكُنْ جَمِيلَ الظَّنِّ ٤١ بِإِلَهِهِ، وَالتَّمَنِّي

١٧ فَعَالِمِ الْغُيُوبِ ٤٢ وَغَافِرِ الذُّنُوبِ

١٨ وَكَاشِفِ الْكُرُوبِ ٤٣ وَشَاهِدِ الْقُلُوبِ

١٩ اللَّهُ دُونَ شِرْكَ رُكْ ٤٤ حَقًّا بَغَيْرِ شَكٍّ

مراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام: أركانهُ.

١ إِنْسِلَامُنَا السَّعَادَةَ ٤٥ أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ

مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

٢ لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ ٤٦ بِالْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ

مَعْنَى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ).

٣ أَعْبُدْهُ بِمَا شَرَعَ ٤٧ رَسُولُهُ، وَمَا مَنَعَ

٤ أَتْرُكُهُ جَمِيعًا ٤٨ مُصَدَّقًا مُطِيعًا

بَقِيَّةُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ.

٥ وَخَمَسَنَا نَصَلِي ٤٩ وَمَالَنَا نَزْكَي

٦ فِي رَمَضَانَ صَوْمُنَا ٥٠ لِيَلَيْتَ رَبِّي حَجَّنَا

المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه.

٧ إِيْمَانُنْ بِإِلَهِ ٥١ الْوَاحِدِ الْإِلَهِ

٨ وَبَعْدُ بِالْمَلَائِكَةِ ٥٢ وَكُتِبَ لَهُ الْمُبَارَكَةُ

٩ وَرُسُلِهِ وَالْقَدَرِ ٥٣ وَيَوْمِهِ الْمَوْخِرِ

الإيمان بالملائكة.

١٠ مَلَائِكُكَ مِنْ نُورٍ ٥٤ تَعْمَلُ بِالْمَأْمُورِ

١١ كَخَازِنِ الْجَنَانِ ٥٥ وَمَالِكِ النَّيِّرَانِ

١٢ مِيكَالَ إِسْرَافِيلَ ٥٦ وَخَيْرُهُمْ جَبْرِيلَ

الإيمان بالكتب.

١٣ وَكُتِبَ لَهُ الدُّسْتُورُ ٥٧ الصُّحُفُ وَالزَّبُورُ

١٤ تَوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ ٥٨ وَهَيَمَنَ التَّنْزِيلُ

الإيمان بالرُّسُل.

١٥ وَرُسُلُهُ بِالْحَتَمِ ٥٩ أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَزْمِ

١٦ نُوحٍ فَابْرَاهِيمَ ٦٠ وَبَعْدَهُ الْكَالِمِ

١٧ وَبَعْدَ عِيسَى الْمُصْطَفَى ٦١ أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى

الإيمان بالقَدَرِ.

١٨ وَقَدَرُ الْحَكِيمِ ٦٢ يَعْلَمُ بِهِ الْعَمِيمِ

١٩ فَكَتَبَ بِهِ الْمُقَدَّرَا ٦٣ فَشَاءَهُ، ثُمَّ بَرَا

الإيمان المُجْمَلُ والمُفَصَّلُ.

٢٠ نُوْمِنُ بِالْمُفَصَّلِ ٦٤ فِيمَا مَضَى وَالْمُجْمَلِ

المرتبة الثالثة: الإحسانُ.

٢١ وَالَّذِينَ يَا إِخْوَانُ ٦٥ قَمَّتْ لَهُ الْإِحْسَانُ

٢٢ أَنْ يُعْبَدَ إِلَاهُهُ ٦٦ كَأَنَّا نَرَاهُ

٢٣ أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ ٦٧ بِأَنَّهُ يَرَانَا

حقيقة الإيمان ومسماه.

٢٤ إِيْمَانٍ بِاللَّسَانِ ٦٨ وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

٢٥ يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ٦٩ يَقِلُّ بِالزَّلَّاتِ

من خوارم الإيمان والتوحيد.

٢٦ وَلِتُحْذَرَ الْأَرْجَاءُ ٧٠ وَالشُّرُكُ وَالرِّيَاءُ

٢٧ وَلَا تُكْفَّرْ مُسْلِمًا ٧١ بِالذَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَا

٢٨ مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفِرًا ٧٢ وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا

الآخرة

عذاب القبر ونعيمه.

١ نُوْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ٧٣ وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ

٢ سُؤَالِهِ وَضَمَّتِهِ ٧٤ عَذَابِهِ وَنِعْمَتِهِ

الْبَعْثُ وَالْحَشْرُ.

٣ فَالْبَعْثُ ثُمَّ الْحَشْرُ ٧٥ عَلَى اخْتِلَافِ الْقَدْرِ

الشفاعة الكبرى.

٤ فَيُشْفَعُ النَّبِيُّ ٧٦ مَقَامُهُ الْعِلْيَیْ

الحساب.

٥ فَيُنْشَرُ الْكِتَابُ ٧٧ وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ

٦ بِالْعَذْلِ وَالْمِيزَانِ، ٧٨ وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ

الأهوال والجنة والنار.

٧ نُوْمِنُ بِالظُّلَالِ ٧٩ وَالْحَوْضِ وَالْأَهْوَالِ

٨ وَالْجِسْرِ وَالنَّيِّرَانِ ٨٠ وَالْخُلْدِ وَالْجَنَانِ

رؤية المؤمن لله في القيامة.

٩ وَرُؤْيَا الْأَبْرَارِ ٨١ بِالْعَيْنِ لِلْجَبَّارِ

الحقوق ومكارم الأخلاق

حَقُّ اللَّهِ، وَشَرْطُ صِحَّةِ الْعَمَلِ.

١ نُوَحِّدُ الْقَهَّارَا ٨٢ وَنَتَّبِعُ الْمُخْتَارَا

حق النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ تَعْظِيمُنَا لِلْمُصْطَفَى ٨٣ بِلَا غُلُوٍّ أَوْ جَفَا

حَقُّ الصَّحَابَةِ.

٣ نُوْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ٨٤ وَالْحُبِّ وَالتَّسْلِيمِ

٤ لِإِلَهِهِ وَصَاحِبِهِ ٨٥ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ

٥ سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ ٨٦ رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ

٦ نَكْفُ عَمَّا شَجَرَا ٨٧ بَيْنَهُمْ، وَمَا جَرَى

حَقُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَقَارِبِ.

٧ نَبَرُّ وَالِدَيْنَا ٨٨ وَالْعُلَمَاءَ أَلَدَيْنَا

٨ وَالصَّالِحَ الْوَلِيَّ ٨٩ أَلْمُؤْمِنَ التَّقِيَّ

٩ وَنُكْرِمُ الْإِخْوَانَ ٩٠ وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ

لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَطَاعَةُ وَلِيِّ الْأَمْرِ.

١٠ وَنَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ ٩١ وَالنُّصْحَ وَالْإِطَاعَةَ

١١ لِأَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ ٩٢ فِي مَنْشَطٍ أَوْ عُسْرِ

١٢ فِي غَيْرِ مَا عِضْيَانٍ ٩٣ وَلَنَذْعُ لِلشُّلْطَانِ

الْوَلَاءُ وَالْبِرَاءُ.

١٣ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْإِيمَانَ ٩٤ وَالْكَافِرِينَ عَادِيهِمْ

١٤ بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ، ٩٥ وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ

مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ.

١٥ وَلَنَحْفَظِ اللِّسَانَ ٩٦ وَطَهِّرِ الْجَنَانَ

١٦ وَاضْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ ٩٧ وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ

- ١٧ سَهْلًا حَلِيمًا رَّاحِمًا ٩٨ جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا
- ١٨ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ٩٩ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ
- ١٩ وَتَرْفَعُ الْإِنْسَانَا ١٠٠ وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَ

الخاتمة

- ١ تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّي • حَبِيبَةَ لِقَابِي
- ٢ حَاوِيَةَ الْأَصْـوَلِ • مَأْمُولَةَ الْقَبُولِ
- ٣ أَخِيَابَهَا حَيَاتِي • أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي
- ٤ يَا رَبِّ يَسِّرْ عِلْمَهَا • وَشَرِّحْهَا وَفَهْمَهَا
- ٥ وَارْحَمْ مَنْ اعْتَنَى بِهَا • وَاشْرِكْهُ فِي ثَوَابِهَا
- ٦ وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ • خَاتِمَةُ الْقَصِيدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين (١).

أمّا بعد فما أنعم الله عزّ وجلّ على عباده نعمةً أعظم من أن عرّفهم أنّه لا إله إلّا الله، ولا طمأنينة للقلب ولا سكينة له إلّا بتحقيق هذه الكلمة العظيمة التي من أجلها خلق الله الجنّ والإنس، وبها أرسل رُسُلَه وأنزل كُتُبَه، وفي شأنها تُنصب الموازين، وتتطير الصّحف، وتكون السّعادة والشّقاوة، وعلى حسب ذلك تُقسّم الأنوار. فحريٌّ بمن يريد نجاته: أن يُشمر عن ساعد الجدّ في العِلْم بالله وتحقيق العبوديّة له التي هي الغاية التي فيها تنافس المتنافسون، وإلى علّمها شمر المشمرون، فاستنارت قلوبهم، ووجدوا من حلاوة الإيمان ولذّة الطّاعة ما لم يُقدّر قدره، ولا يُحاطُ بوصفه. وبلوغ الكمال في الإيمان وتحقيق العبوديّة لا يكون إلّا بتعلّم عقيدة السّلف ودراسيّتها خصوصًا في هذا الزّمن المتأخّر الذي بُعد عن زمن النّبوة، واشتدّت فيه الغربة، وكثرت فيه الصّوارف والفتن.

(١) أصل هذه الأوراق شرح صوتي على البيضاء في عقيدة السلف ونجاة الخلف كان في شهر شعبان عام ١٤٤٧هـ، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها، فراجعها، وخرّج أحاديثها، ووثّق نقولها، وأعاد صياغة مواضع يسيرة منها بما يناسب الكتاب المقروء. (رابط المنظومة) (رابط الشرح الصوتي) (رابط آخر للشرح الصوتي) (رابط الشرح على اليوتيوب).

والمَخرج من هذه الفتن التي تنهش في هذه الأمة من كلِّ جانب: هو في العلم النافع
علم الكتاب والسنة.

وأجلُّ ذلك وأسماه، وأرفعُه وأعلاه: علم العقيدة والتَّوحيد الذي هو أحسن
الحسنات، وأصل دعوة الرُّسل، وأكمل ما فيها، بل ليس في دين المرسلين ولا في كُتب
ربِّ العالمين أمرٌ أعظم منه، فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، والله **تعالى** أشرف
معلوم، فالعلم به أشرف العلوم، والحديث عنه أشرف حديث.

وهذه مُدارسةٌ لمنظومة «البيضاء في عقيدة السلف ونجاة الخلف» في إصدارها الثاني
للشيخ الأستاذ الدكتور سليمان بن عبدالعزيز العيوني حفظه الله وبارك فيه وأدام نفعه
وأجرى الخير على يديه.

ومنظومته هذه خلاصةٌ مُختصرةٌ في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة صافيةٌ
واضحةٌ، مُطابقةٌ للفطرة، ترى فيها أنوار الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.
أضف إلى ذلك: أنَّها ما شئت سلاسةً وعدوبةً لفظٍ وحُسنَ سبك، وهي على منهوك
الرَّجز، وهو وزنٌ جميل، حسن النغم، يجري به اللسان، ويعذب في السمع، ويقع في
النفس.

وقد نشر الله -بحمده- قبول هذه المنظومة منذ اليوم الذي وُلدت فيه، للثقة
بناظمها، ولما امتازت به من سهولة، وحُسن ترتيب، ووضوح عبارة، ووفاءٍ بجُلِّ أبواب
الاعتقاد وأصوله بذكر أهمِّ المسائل دون تفصيل على وجازتها، فهي تقع في مئة بيت من
دون المقدمة والخاتمة.

أول ما تراه فيها بعد المقدمة: ذكرُ مصادر التَّلقي.

ثمَّ الأصول الثلاثة، وهي معرفة العبد ربَّه ودينه ونبَّيه محمَّداً **صلى الله عليه وسلم**.

ثُمَّ التَّوْحِيدُ بِأَنْوَاعِهِ: تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْأَلُوْهِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

ثُمَّ حِمَايَةُ جَنَابِ التَّوْحِيدِ بِسَدِّ ذُرَائِعِ الشِّرْكِ.

ثُمَّ مَرَاتِبُ الدِّينِ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

ثُمَّ الْآخِرَةُ وَمَا يَكُونُ فِيهَا.

ثُمَّ الْحَقُوقُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ رِعَايَتُهَا: مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَقِّ رَسُولِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَقِّ آلِهِ وَالصَّحْبِ، وَحَقِّ الْوَالِدِينَ، وَالْعُلَمَاءِ، وَالْأَقَارِبِ، وَلِزُومِ

الْجَمَاعَةِ، وَحَقِّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ خَتَمَ بِذِكْرِ نُبْذَةٍ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَدَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ

الصَّحِيحَ غَرْسٌ طَيِّبٌ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ ثَمَرَتُهُ طَيِّبَةً:

إِنَّ الْأَصُولَ الطَّيِّبَةَ لَهَا فَرْوعٌ زَاكِيَةٌ (١)

فهذه إطلالة على منظومة «البيضاء» يتبين بها حُسن ترتيبها، وجودة عرضها.

وهذه المنظومة تصلح أن تكون مفتاح البداءة، ومعراجاً للترقي في مراقبي هذا العلم

الشَّريفِ عِلْمِ الْإِعْتِقَادِ.

وما حوته هذه المنظومة من حقائق الإيمان وأصول الدين، لا يستغني عنه صغيرٌ ولا

كبير.

وهذا أو أن البدء بمُدارستها بما يناسب وجازتها واختصارها إن شاء الله.



قال المصنّف وفق الله:

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

المقدمة

الحمد والصلاة:

- ١- الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ الْوَاحِدِ الْكَرِيمِ
- ٢- مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا عَلَى الرَّسُولِ مُكْرِمًا
- ٣- وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَبَعْدُ: يَا أَحَبَّابِي

اسم المنظومة، وموضوعها:

- ٤- فَهَذِهِ «الْبَيْضَاءُ» مَنْظُومَةٌ حَسَنَاءُ
- ٥- عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ وَهِيَ النَّجَاةُ لِلْخَلَفِ



قال الشارح وفق الله:

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

- ١- الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ الْوَاحِدِ الْكَرِيمِ

ابتدأ **وَفَقَّهُ اللَّهُ** بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» اقتداءً بالكتاب العزيز وبسنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في مكاتباته، فقد كان يفتح رسائله بالبسملة كما في الصحيحين في رسالته إلى هرقل عظيم الروم ^(١).

ثم حمّد الله **تَعَالَى** في أول نظمه، اقتداءً بالكتاب العزيز، فإنَّ أَوَّلَ سُورِهِ: سورةُ الْحَمْدِ، وبُسْنَةِ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** العملية في خُطْبِهِ وَوَعْظِهِ.
و(الحمد): هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حُبِّه وإجلاله وتعظيمه، قاله ابن القيم في «بدائع الفوائد» ^(٢).

(الْحَمْدُ لِلْعَظِيمِ): الَّذِي لَهُ مِنْ كُلِّ كَمَالٍ أَعْظَمُهُ، الْمُسْتَحَقُّ لِلتَّعْظِيمِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ والجوارح.

(الوَاحِد): المتفرّد بالكمالات، فلا شريك له ولا مثيل في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته.

(الكَرِيم): الْمُتَّصِفُ بِأَعْظَمِ الْكَمَالَاتِ، الْمُكْرَمِ لِخَلْقِهِ، الْكَثِيرِ الْعَطَاءِ.
ولا يخفى ما في ابتداء النّظم **وَفَقَّهُ اللَّهُ** بهذا من إشعارٍ بمقصوده، وأنَّ نَظْمَهُ في العقيدة، وهو المُسَمَّى في البلاغة ببراءة الاستهلال.

ثم ثنّى بالصّلاة والسّلام على نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧)، ومسلم في «الصحيح» (١٧٧٣). قال الحافظ ابن حجر في

فتح الباري (١ / ٩): «وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة».

(٢) «بدائع الفوائد» (٢ / ٥٣٦).

وصلاة الله على عبده: فسرها أبو العالية بثنائه عليه عند الملائكة، علّقها عنه البخاري في «صحيحه»^(١).

والسّلام المقصود به: النّزاهة من النقائص والآفات.
فبالصّلاة حصول المطلوب، وبالسّلام زوال المرهوب.
وفي الجمع بين (الصّلاة) و(السّلام) وعدم الاختصار على أحدهما: امتثال لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(على الرّسول مكرّمًا) قال تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]: أي تعظموه وتجلّوه وتكرّموه.

٣- وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ وَبَعْدُ، يَا أَحَبَّ ابْنِي

(وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ): آل النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتباعه على دينه منذ بُعث إلى يوم القيامة، ويدخل فيه: المؤمنون من قرابته دخولاً أوّلياً، وهم المقصودون بـ(الآل) في (كتاب الزّكاة) في الفقه، وفي الكلام على (حقوق آل البيت) في كتّاب الاعتقاد.
ويدلّ على أنّ (الآل) بمعنى (الأتباع): قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]: أي أدخلوا أتباعه أشدّ العذاب.

(وَالْأَصْحَابِ): جمّع (صاحب).

والصّحابيُّ: من لقي النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به ومات على ذلك.
وعطف (الأصحاب) على (الآل) من عطف الخاصّ على العامّ، لأنّ الصّحبة أخصّ من مطلق الاتّباع.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» معلقاً (٦/ ١٢٠).

وسياتي الكلام على حقوق الصَّحْب والآل في آخر النِّظْم إن شاء الله.
ثمَّ تَخَلَّصَ إلى ذِكْر مقصوده مِنَ النِّظْم، فذكر اسم المنظومة وموضوعها.
قال: (وَبَعْدُ: يَا أَحَبَّابِي): هذا تَوَدُّدٌ وتَلَطُّفٌ مِنَ النَّاطِمِ بالقارئ والدارس.

٤- فَهَذِهِ «الْبَيْضَاءُ» مَنُظُومَةٌ حَسَنَاءُ

(فَهَذِهِ «الْبَيْضَاءُ»): أي هذه المنظومة اسمها «البيضاء».

وقد قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في حديث العِرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد في «المُسْنَد» -: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ»^(١) أي على المِلَّة الواضحة البَيِّنَة، الَّتِي لَا يَضِلُّ سَالِكُهَا.

فهذه المنظومة منظومة واضحة، نيرةٌ بأنوار الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه سلف الأُمَّة.

وَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عليه بهذه العقيدة البيضاء الصَّافِيَة الواضحة المُطَابِقَة للْفِطْرَة وجد في نَفْسِهِ الطُّمَأْنِينَة التَّامَّة والرَّاحَة العَظِيمَة بهذا المَعْتَقِدِ الْحَقِّ الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما كان عليه سلف الأُمَّة.

وَكُلُّ مَنْ رَغِبَ عَنْ سُلُوكِ المَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وعقيدة السَّلف إلى غيرِها ممَّا عليه أهل الكلام فقد خرج من اجتماعٍ إلى تَشَتُّتٍ، ومن نظامٍ إلى تَفَرُّقٍ، ومن أُنْسٍ إلى وَحْشَةٍ.
ثمَّ قال: (مَنُظُومَةٌ حَسَنَاءُ): وهذا ترغيبٌ في المنظومة، فهي منظومةٌ حَسَنَاءُ في ألفاظها، حَسَنَاءُ في ترتيبها، حَسَنَاءُ في وضوحها، حَسَنَاءُ في يُسْرِها وسهولتها، حَسَنَاءُ

(١) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (١٧١٤٢)، وابن ماجه في «السنن» (٤٣)، وصحَّح إسناده الألباني في

«سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٦١٠).

بُحْسَنَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ بَيَانِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ الْمُتَلَقَّاةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ:

٥ - عَلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ وَهِيَ النِّجَاةُ لِلْخَلَفِ

(وَهِيَ) أَيُّ عَقِيدَةِ السَّلَفِ، الَّذِينَ أَخَذُوا هَذَا الدِّينَ غَضًّا طَرِيقًا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (النِّجَاةُ لِلْخَلَفِ)، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكُ: (لَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا) (١).

فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ، فَهِيَ الْأَسْلَمُ وَالْأَعْلَمُ وَالْأَحْكَمُ، وَبِهَا تَتَحَقَّقُ النِّجَاةُ لِلْخَلَفِ.

وَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ وَكُلُّ شَرٍّ فِي اتِّبَاعِ مَنْ خَلَفَ



(١) ينظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» (٢ / ٨٨)، و«اقتضاء الصراط المستقيم» (٢ / ٢٤٣).

قال المصنف وفقه الله:

مصادر التلقي

- ١- قُرَأْنَا وَالسُّنَّةَ ١ بِفَهْمٍ خَيْرِ الْأُمَّةِ
- ٢- أَكْرَمَ بِهِم مِّن سَلَفٍ ٢ فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَأَقْتَفِ
- ٣- وَكُن لَّهُمْ مُتَّبِعًا ٣ لَا زَائِغًا مُّبْتَدِعًا



قال الشارح وفقه الله:

بَيَّنَّ وَفَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَصَادِرَ التَّلَقِّيِّ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، قَالَ:

- ١- قُرَأْنَا وَالسُّنَّةَ ١ بِفَهْمٍ خَيْرِ الْأُمَّةِ
- (قُرَأْنَا وَالسُّنَّةَ): هَذِهِ أُمُّ قَوَاعِدِ الْمَنْهَجِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي التَّلَقِّيِّ: أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ عَقِيدَتَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] أَي مِّنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

فَالْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ هُمَا الْمَعِينُ الصَّافِي وَالْأَسَاسُ السَّلِيمُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْعَقِيدَةُ.

وليس وراء الكتاب والسنة إلا اتباع الهوى، فليس ثمَّ طريقٌ ثالثة، ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهُدَى وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحَ
وَدِنَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبِحُ (١)
ويجب أن يكون ذلك (بِفَهْمٍ خَيْرِ الْأُمَّةِ)، وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة،
الصَّحابة، والتَّابِعُونَ، وأتباع التَّابِعِينَ.

٢- أَكْرَمَ بِهِمْ مِّنْ سَلَفٍ ٢ فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَاقْتَفَى
(أَكْرَمَ بِهِمْ مِّنْ سَلَفٍ): أي ما أكرمهم من سلف! فقد زكاهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فقال - كما في «الصَّحِيحِينَ» - : «خَيْرُ النَّاسِ: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يُلُونَهُمْ» (٢).

(فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ): هو بفتح الضاد الأولى (عَضَّ): من باب (سَمِعَ)، تقول:
(عَضِضْتُ عَلَيْهِ أَعْضَضْتُ)، قال تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]، والأمر
منه: (عَضَّ) بالإدغام، و(اعْضَضُ) بالالف.

(فَأَعْضَضَ عَلَيْهِمْ وَاقْتَفَى): أي اتَّبَعَ، امثالاً لو وصية النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال -
كما في حديث العَرَبَاضِ بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا

(١) «حائية ابن أبي داود» البيتان (١-٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٦٥٢)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٣٣).

كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وأخبر النبي ﷺ أَنَّ هذه الْأُمَّةَ ستفترق إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، كُلُّهَا في النَّارِ إِلَّا واحدة، قيل: (مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢)، وورد بلفظ: «الْجَمَاعَةُ»^(٣).

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّياً فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبْرَ هذه الْأُمَّةِ قُلُوباً، وَأَعَمَّقَهَا عِلْماً، وَأَقْلَهَا تَكْلِفاً، وَأَقْوَمَهَا هَدْياً، وَأَحْسَنَهَا حَالاً، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ)^(٤).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٥)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٠٧)، والترمذي في «الجامع» (٢٦٧٦)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢) وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥) (١٠٧/٨).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٦٤١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٥٣٤٣) (٢/ ٩٤٣)، وقد جاء هذا الحديث من طرق عدة من رواية جمعٍ من الصحابة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٩٣٧)، وأبو داود في «السنن» (٤٥٩٧)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٤) (٤٠٤/١).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧).

وقال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَيضًا: (إِنَّكُمْ الْيَوْمَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنَّكُمْ سَتُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ، فَإِنْ رَأَيْتُمْ مُحَدَّثَةً فَعَلَيْكُمْ بِالْهَدْيِ الْأَوَّلِ) ^(١).

فَالْوَاجِبُ: اتِّبَاعُ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا قَالَ:

٣- **وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا ۖ لَا زَائِعًا مُبْتَدِعًا**

(**وَكُنْ لَهُمْ مُتَّبِعًا**)، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَفْهَمُونَ النُّصُوصَ بِفَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَيَتَكَلَّمُونَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ السَّلَفُ، وَيَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ السَّلَفُ.

قَالَ **تَعَالَى**: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٧]، فَمَنْ آمَنَ بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ الصَّحَابَةُ فَقَدْ اهْتَدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللَّهُ.

وَلَمَّا أَوْضَحَ النَّازِمُ **وَفَقَهُ اللَّهُ** مَصَادِرَ التَّلَقِّي حَذَرَ مِنْ مَخَالَفَةِ ذَلِكَ، فَقَالَ: (**لَا زَائِعًا مُبْتَدِعًا**)، فَالْوَاجِبُ: الْحَذَرُ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي الدِّينِ.

قَالَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كَمَا فِي حَدِيثِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** -: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**» ^(٢).

وَفِي «الصَّحِيحِينَ»: «**مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» ^(٣).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» ^(٤).

(١) أخرجه المروزي في «السنة» (ص ٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٥)، وأبو داود في «السنن» (٤٦٠٧)، والترمذي في «الجامع»

(٢٦٧٦)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢) وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٤٥٥)

(١٠٧/٨).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٦٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (١٧١٨).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٧١٨)، وهو في البخاري معلقاً (فتح الباري ٣١٧/١٣).

وقد ذكر الشاطبي في «الاعتصام» عن الإمام مالك: أنه قال: (مَنْ ابتدَعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرسالة، لأنَّ الله تَعَالَى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً) (١).

والزَّيغُ والابتداعُ دركاتٌ كثيرة، يجمعها أنَّها تنكُّبٌ عن اتِّباع الكتاب والسُّنة بفهم سلف الأُمَّة.

ثمَّ بعد أن بيَّن مصادر أهل السُّنة والجماعة في التلقِّي شرعاً يفصّل القول في بيان اعتقاد السلف، وابتدأ من ذلك بيان الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، وهي التي يُسأل عنها العبد في قبره، فيقال له: (مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينُكَ؟ وَمَنْ نبيُّكَ؟).

واستعمل طريقة السؤال والجواب، تنشيطاً لذهن المتلقِّي، وهي طريقة نافعة في تقرير العلم، وقد كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسلكها أحياناً مع أصحابه، فكان يطرح عليهم السؤال من أجل أن تنهياً أذهانهم إلى الجواب، فيستقرّ ويتمكّن في النفوس.



قال المصنف وفقه الله:

الأصول الثلاثة

الأصل الأول: معرفة العبد ربه:

- ١- مَنْ رَبُّنَا؟ الرَّحْمَنُ ٤ مَعْبُودُنَا الْمَنَّانُ
- ٢- اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ ٥ يُمِدُّنَا بِالرِّزْقِ

الأصل الثاني: معرفة العبد دينه:

- ٣- وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ٦ مَعْنَاهُ الْإِسْتِسْلَامُ
- ٤- اللَّهُ طَائِعِينَ ٧ حَقًّا مُؤَخَّرِينَ

الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه صلى الله عليه وسلم:

- ٥- ثُمَّ مَنْ النَّبِيُّ؟ ٨ مُحَمَّدٌ الزَّكِيُّ
- ٦- مُرْشِدُنَا لِلَّهِ ٩ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ
- ٧- صَلَّى وَسَلَّمَ -رَبِّي- ١٠ عَلَى حَيْبِ الْقَلْبِ



قال الشارح وفقه الله:

ثبت في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ يَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ وَيَقُولَانِ لَهُ: (مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟).

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ: فيقول: (رَبِّي: الله، وديني: الإسلام، ونبيِّي: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)،
 فينادي منادٍ مِنَ السَّمَاءِ: «أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ،
 وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ: فيقول في الأسئلة الثلاثة: (هاه! هاه! لا أدري)، فينادي منادٍ مِنَ
 السَّمَاءِ: «أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ
 مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ»^(١).

فمعرفة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومعرفة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومعرفة دين الإسلام: هو
 العلم النافع الذي ينفعك في قبرك.

وَمَنْ عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ كَانَ حَرِيًّا أَنْ يُثَبَّتَ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي قَبْرِهِ.
 وَأَنْ كُلاًّ مُقْعَدٌ مَسْئُورٌ مَا الرَّبُّ؟ مَا الدِّينُ؟ وَمَا الرَّسُولُ؟
 وَعِنْدَ ذَا يُثَبَّتُ الْمُهَيِّمُ بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَيُوقِنُ الْمُتَرَابُ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَنَّمَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكُ^(٢)

وقد ذكر الأصل الأوّل (وهو معرفة العبد ربّه) في بيتين، فقال:

١- مَنْ رَبُّنَا؟ الرَّحْمَنُ ٤ مَعْبُودُنَا الْمَنَّانُ
 ٢- اللَّهُ رَبُّ الْخَلْقِ ٥ يُؤْمِدُنَا بِالرِّزْقِ
 إذا قيل لك: (مَنْ رَبُّكَ؟) فقل: (رَبِّي: الله).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٨٣٢)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٥٣) بنحوه، وصححه

الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٨) (٣/ ٣٩٧).

(٢) «سلم الوصول» الأبيات (١٨٣-١٨٥).

والإقرار بأن الله هو ربُّنا الَّذِي خلقنا وأمدَّنَا بِالرِّزْقِ يستلزم أن نُفَرِّدَهُ بِالْعِبَادَةِ.

وهذا المعنى كثيرٌ في القرآن، مِنْ ذَلِكَ: قوله **تَعَالَى**: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، فإقرارِي بأنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** هو الَّذِي خلقني ورزقني يستلزم أن أُفَرِّدَهُ بِالْعِبَادَةِ، فيكون هو معبودي، ليس لي معبودٌ سواه.

ثمَّ ذكر الأصل الثاني (وهو معرفة العبد دينه) في بيتين، قال:

٣- وَدِينُنَا الْإِسْلَامُ ٦ مَعْنَاهُ الْإِسْتِسْلَامُ
٤- اللَّهُ طَائِعِينَ ٧ حَقُّهُ أَمْوَ حُودِينَا

إذا قيل لك: (ما دينك؟) فقل: (ديني: الإسلام).

وحقيقة (الإسلام): الاستسلام لله **تَعَالَى** بالتَّوْحِيدِ.

قال الزُّهْرِيُّ: (مِنْ اللَّهِ الرَّسَالَةِ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغِ، وَعَلَيْنَا التَّسْلِيمُ) ^(١).

فحقيقة (الإسلام): الاستسلام لله **تَعَالَى** بالتَّوْحِيدِ، بأنْ يخضع العبد لله **تَعَالَى**، ويفرده بالعبادة، ولا يُشْرِكُ معه أحداً، وينقاد له بالطَّاعة، ويتبرَّأ مِنَ الشُّرْكِ والمُشْرِكِينَ ويعتقد بظُلْمان ما هُم عليه.

ثمَّ ذكر الأصل الثالث (وهو معرفة العبد نبيَّه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) في ثلاثة أبيات، قال:

٥- ثُمَّ مَنِ النَّبِيُّ؟ ٨ مُحَمَّدُ الزَّكِيُّ
٦- مُرْشِدُنَا اللَّهُ ٩ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» معلقاً مجزوماً به (٩/ ١٥٤).

٧- صَلِّ وَسَلِّمْ -رَبِّي- ١٠ عَلَى حَيْبِ الْقَلْبِ

إذا قيل لك: (مَنْ نَبِيُّكَ؟) فقل: (نَبِيِّ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، الزَكِيُّ النَّفْسِ وَالنَّسَبِ وَالخُلُقِ.

زَكَّاهُ اللهُ تَعَالَى في بصره، ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].

زَكَّاهُ في لسانه، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣].

زَكَّاهُ في عقله، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ٢].

زَكَّاهُ في قلبه، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١].

زَكَّاهُ في صدره، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

زَكَّاهُ في خُلُقِهِ، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أَبَى اللهُ إِلَّا رَفَعَهُ وَعُلُوَّهُ وَلَيْسَ لِمَا يُعْلِيهِ ذُو الْعَرْشِ وَاضِعٌ

(مُرْشِدُنَا اللهُ): هو الَّذِي أَرشَدَنَا اللهُ، فما ترك باب خيرٍ إِلَّا دَلَّنَا عليه، ولا باب شرٍّ إِلَّا

حَذَرْنَا منه، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ»^(١).

(هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ): هو مُحَمَّدٌ بن عبد الله.

ومعرفة النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشتمل على أمور:

الأوَّل: معرفة نَسَبِهِ، هو مُحَمَّدٌ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم.

و(هاشم) من قريش.

و(قريش) من العرب.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٤٠٩)، وأبو داود في «السنن» (٨)، والنسائي في «المجتبى»

(٤٠)، وابن ماجه في «السنن» (٣١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١ / ٣٠).

و(العرب) من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

الثاني: معرفة مولده، وعُمُرُه، ومُجَمَل حياته النبوية.
وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة في شهر ربيع الأول عام الفيل.
وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها: أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسوياً.

نُبِّيَ بِ﴿أَفْرَأَ﴾: أي صار نبياً لما نزل عليه صدر سورة العلق.
وَأُرْسِلَ بِ(الْمُدَثِّر): أي صار رسولاً لما نزلت عليه سورة المدثر.
قضى ثلاث عشرة سنة بعد النبوة بمكة، وعشر سنوات بالمدينة، وفيها توفي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة.
الثالث: معرفة ما بُعِثَ به:

بَعَثَهُ اللهُ بِالنَّذَارَةِ عَنِ الشُّرْكَ أَيِ التَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى التَّوْحِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا
الْمُدَّثِّرُ ﴿۱﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿۲﴾﴾ [المدثر: ١، ٢]: أي أَنْذِرْ عَنِ الشُّرْكَ وَادْعُ إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿۳﴾﴾ [المدثر: ٣]: أي عَظِّمَهُ بِالتَّوْحِيدِ.

وَالدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْحِيدِ هِيَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنْ إِرْسَالِهِ، بَلْ مِنْ إِرْسَالِ جَمِيعِ الرُّسُلِ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿۲۵﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فهذه هي الأصول الثلاثة: معرفة العبدِ ربِّه، ودينه، ونبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مَنْ عَرَفَهَا كَانَ أَهْلًا أَنْ يُوَفَّقَهُ اللَّهُ إِذَا أَتَاهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ فِي قَبْرِهِ وَسَأَلَاهُ عَنْهَا، كَمَا ثَبَتَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ» (١).

وهي فتنة القبر التي قال فيها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما في «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: «إِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَالَ: قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» (٢).

وقد أمرنا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فقال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (٣).

فتنة المحيا: ما يعرض للإنسان في حياته، مِنْ ابْتِلَاءٍ بِالشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ.

وفتنة الممات تُفَسَّرُ بشيئين:

أحدهما: ما يكون عند الموت ساعة الاحتضار، وأُضيفت إلى الممات لقربها منه، والشَّيْطَانُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَحْرَصُ مَا يَكُونُ عَلَى إِغْوَاءِ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّهَا خَاتِمَةُ الْحَيَاةِ، وَعَلَيْهَا مَدَارُ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ وَشَقَاوَتِهِ.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (١٠٧١)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»

(٣٧٩ / ٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٨٤)، ومسلم في «الصحيح» (٩٠٥).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٨٨).

والآخر: ما يحصل للميت حين يُسأل في قبره: (مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟) وعلى ذلك يكون تنعيم الميت في قبره أو تعذيبه، فَمَنْ أَجَابَ عَنْهَا فَقَالَ: (رَبِّي: الله، وديني: الإسلام، ونبيي: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان مِنَ النَّاجِينَ الْمُنْعَمِينَ، وَمَنْ قَالَ: (هاه! هاه! لا أدري) كان مِنَ الْهَالِكِينَ الْمُعَذَّبِينَ.

وليس المقصود: أَنْ يحفظ العبدُ الجوابَ، بل أَنْ يستقرَّ في نفسه، ويعمل بمقتضاه، فمعرفة لا تُنجي العبدَ إِلَّا إذا اعتقد معناها وعَمِلَ بمقتضاها.

نسأل الله أَنْ يُثَبِّتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

(صَلِّ وَسَلِّمْ - رَبِّي -): أَي (يَا رَبِّي)، وَحَذَفُ (يَا) جَائِزٌ فِي النَّدَاءِ، كَمَا قَالَ الْحَرِيرِيُّ:

وَحَذَفُ (يَا) يَجُوزُ فِي النَّدَاءِ كَقَوْلِهِمْ: (رَبِّ، اسْتَجِبْ دُعَائِي)

(عَلَى حَبِيبِ الْقَلْبِ) نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي أَخْرَجَنَا اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

ثمَّ انتقل إلى الكلام على التَّوْحِيدِ وَأَنْوَاعِهِ.



قال المصنف وفق الله:

التوحيد وأنواعه

الغاية من خلق الخلق:

١- خُلِقْتُ لِلتَّوْحِيدِ ١١ وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ

النوع الأول: توحيد الربوبية:

٢- فَأَفْرُدُ الْخَلَاقَ ١٢ بِفِعْلِهِ الرَّزَاقَ

٣- مُدَبِّرٌ وَنَافِعٌ ١٣ وَمَالِكٌ وَرَافِعٌ

النوع الثاني: توحيد الألوهية:

٤- مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ١٤ بِالْقَضْدِ وَالْعِبَادَةِ

٥- كَالذَّبْحِ وَالصَّلَاةِ ١٥ وَالْحَاجِّ وَالزَّكَاةِ

٦- وَالنَّذْرِ وَالِدُّعَاءِ ١٦ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

٧- وَصَرْفُهَا لِغَيْرِهِ ١٧ شِرْكٌ خِلَافُ أَمْرِهِ

الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات:

٨- لَهُ صِفَاتُهُ الْعُلَا ١٨ وَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى بِلَا

٩- تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ١٩ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

صفات الله قسمان: ذاتية، وفعلية:

١٠- فَرَبُّنَا عَظِيمٌ ٢٠ وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ



قال الشارح وفق الله:

١- خُلِقْتُ لِلتَّوْحِيدِ ١١ وَطَاعَةِ الْمَجِيدِ

التَّوْحِيدُ هو الغاية مِنَ خَلْقِ الْخَلْقِ، كما قال **تَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى (يعبدون): يُوحِّدونِي.

قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**: (كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَمَعْنَاهُ التَّوْحِيدُ)، ذكره

البغويُّ في «تفسيره»^(١).

فَالْخَلْقُ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ **تَعَالَى** بِهِ، وَمِنْ أَجْلِهِ أُرْسِلَتْ

الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ.

وَصِدُّهُ (وَهُوَ الشِّرْكُ) أَعْظَمُ الْمَنْهَيَّاتِ.

وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» - : (أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ؟) فَقَالَ:

«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ»^(٢).

(١) «تفسير البغوي» (١ / ٧١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٤٧٧)، ومسلم في «الصحيح» (٨٦).

والدليل على كون التوحيد أعظم المأمورات، وكون الشرك أعظم المنهيات: آية الحقوق العشرة، وهي قوله **تَعَالَى**: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] الآية، والشاهد: أنه ابتداء هذه الحقوق المُعظَّمة بأعظم المأمورات: وهو التوحيد، وأعظم المنهيات: وهو الشرك.

فالتوحيد أوجب الواجبات وآكد المطالب، وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: توحيد الربوبية، وهو إفراد الله **تَعَالَى** بأفعاله، من خلق، ورزق، ومُلك، وتدبير، ونحو ذلك من أفعاله التي هو مختص بها لا شريك له فيها.

وهو الذي ذكره في قوله:

٢- فَأَفْرُدُ الْخَلَاقَ ١٢ بِفِعْلِ الرِّزَاقِ

٣- مُدَبِّرٌ وَنَافِعٌ ١٣ وَمَالِكٌ وَرَافِعٌ

فتوحيد الربوبية: إفراد الله **تَعَالَى** بأفعاله، من خلق، ورزق، وتدبير، ونفع وضر، ومُلك، ورفع وخفض، ونحو ذلك من أفعاله التي هو مُختص بها لا شريك له فيها، فلا ينسب شيء منها إلى غيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

والنوع الثاني: توحيد الألوهية: وهو إفراد الله **تَعَالَى** بأفعال العباد التي يُقصد بها التَّعبد.

و(العبادة):

- منها: ما يكون بالقلب، كالمحبة، والخوف، والرجاء.

- ومنها: ما يكون باللسان، كالدُّعاء، والاستغاثة.

- ومنها: ما يكون بالجوارح، كالذَّبْح، والرُّكُوع، والسُّجود.

وكلُّها يجب على العباد أن يَخُصُّوا الله **تَعَالَى** بها، وألا يجعلوا له فيها شريكاً.

فإذا توجَّه العبد بهذه العبادة لله لا لغيره كان مُوحِّداً إِيَّاه بتوحيد الألوهية.

٤- مُعْتَقِدًا إِفْرَادَهُ ١٤ بِالْقَصْدِ وَالْعِبَادَةِ

أي بأفعال العباد التي يُقصد بها التَّعَبُّدُ.

٥- كَالذَّبْحِ وَالصَّلَاةِ ١٥ وَالْحَجِّ وَالزَّكَاةِ

٦- وَالنَّذْرِ وَالِدُّعَاءِ ١٦ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ

فهذه العبادات كلها لا يجوز أن تُصرف لغير الله تَعَالَى.

والدليل على وجوب إفراد الله تَعَالَى بها وأنه لا يجوز أن تُصرف لغيره سُبْحَانَهُ: قوله

تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

- فُسِّرَت (المساجد) في الآية بأماكن الطَّاعَةِ، وهي المساجد المعروفة،

ف(المساجد) إِنَّمَا بُنِيَتْ لِيُعْبَدَ اللهُ وحده فيها دون ما سواه، فهي بيوتٌ لعبادة الله.

- وَفُسِّرَت بأعضاء السُّجُود، واحدها: مَسْجِدٌ.

وعلى كُلِّ فالآية دليلٌ على وجوب إفراد الله تَعَالَى بالعبادة.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]: أي لا تعبدوا غير الله.

ف(الدُّعَاء) يُطْلَق على العبادة كلها.

وجميع أنواع العبادة ما ذكره النَّاظِم منها -وهو الذَّبْح، والصَّلَاة، والحَجُّ، والزَّكَاة،

والنَّذْر، والدُّعَاء، والخوف، والرَّجَاء-، وما لم يذكره -كالتَّوَكُّل، والإنابة، والاستعاذة،

والاستغاثة-، وهي كثيرة، لأنَّ كُلَّ ما يحبه الله ويرضاه مِنَ الأقوال والأعمال الظَّاهِرة

والباطنة فهو عبادة، فجميع أنواع العبادة صَرَفُهَا لغير الله تَعَالَى شِرْكٌ، كما قال النَّاظِم

وَفَقَهُ اللَّهُ:

٧- وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ ١٧ شِرْكٌ خِلَافُ أَمْرِهِ

لأنَّه منازعةُ الله **تَعَالَى** في حقِّه الخالص الَّذي لا يجوز أن يُجعلَ لغيره، وهو العبادة.

فدعاءُ الأمواتِ والغائبين وسؤالُهم الولدَ أو سؤالُهم قضاءَ الحاجاتِ وكشفَ الكرباتِ شرك، وقد سمَّى الله **تَعَالَى** هذا العملَ شركًا، قال **تَعَالَى**: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، فهذا شركٌ بنصِّ القرآن.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]: أي يتبرؤون منكم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]: أي لا يُخبرك يا رسول الله أحدٌ أصدق من الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والدليل على أنَّ صرف العبادة لغير الله **تَعَالَى** شرك: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ [المؤمنون: ١١٧] أي لا دليل له عليه، وهذه حال كلِّ معبودٍ من دون الله، فهذا القيد لبيان الواقع ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]: ودلالة الآية هي في تسمية مَنْ دعا مع الله غيره كافرًا، فسمَّاهم **تَعَالَى** (كافرين) لدعائهم غير الله.

والنوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، بإفراد الله **تَعَالَى** بما له من الأسماء الحُسنى والصفات العُلا.

والواجب في هذا الباب: إثبات ما أثبتته الله لنفسه وأثبتته له رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، وهذا الَّذي قال فيه النَّاظم وفقه الله:

٨- لَهُ صِفَاتُهُ الْعُلا ١٨ وَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى بِلا

٩- تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ١٩ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا: إثبات ما أثبتته الله تَعَالَى لِنَفْسِهِ في كتابه أو على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

فإيمان أهل السُّنَّة والجماعة بأسماء الله وصفاته سَلِمُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعَةِ مُحَازِيرٍ، زَلَّ فِيهَا مَنْ زَلَّ فِي هَذَا الْبَابِ.

هذه المحاذير الأربعة هي الَّتِي جَمَعَهَا فِي قَوْلِهِ:

٨- ١٨ بِلا

٩- تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ١٩ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

المحذور الأوَّل في هذا الباب: التَّحْرِيفُ:

وهو في اللُّغَةِ: التَّغْيِيرُ.

وهو هنا: تَغْيِيرُ لَفْظِ النَّصِّ أَوْ مَعْنَاهُ.

مثال تَغْيِيرِ اللَّفْظِ: تَغْيِيرُ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] مِنْ رَفْعِ الْاسْمِ

الكَرِيمِ إِلَى نَصْبِهِ، لِيَكُونَ التَّكْلِيمُ مِنْ مُوسَى لَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى!

ومثال تَغْيِيرِ الْمَعْنَى: تَغْيِيرُ مَعْنَى (استواء الله على عرشه) مِنْ الْعُلُوِّ وَالْإِسْتِقْرَارِ إِلَى

الْإِسْتِيلَاءِ وَالْمُلْكِ، لِيَنْفُوا عَنْهُ مَعْنَى الْإِسْتِوَاءِ الْمَعْرُوفِ فِي اللُّغَةِ!

المحذور الثَّانِي: التَّعْطِيلُ:

وهو في اللُّغَةِ: التَّرْكَ وَالتَّخْلِيَةُ.

وهو في الاصطلاح: إنكار ما يجب لله **تَعَالَى** من الأسماء والصفات، إمّا أن يكون إنكاراً لجميعها كتعطيل غلاة الجهميّة، وإمّا أن يكون إنكاراً لبعضها كحال من لم يثبت من الصفات إلا سبع صفات.

المحذور الثالث والرابع: التّكيف والتّمثيل:

فالتّكيف: هو إثبات كَيْفِيَّةٍ للصفة، كأن يقول: (استواء الله **تَعَالَى** على عرشه: كَيْفِيَّتُهُ: كذا وكذا).

فإثبات أهل السُّنَّة والجماعة للصفات لله **تَعَالَى** إثبات وجود لا إثبات تكيف، لذا ترى في كلامهم: (بلا كيف)، بمعنى أننا ثبت الصِّفة مع نَفْيِ علمنا بالكَيْفِيَّة، وهو معنى قول الإمام مالك: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول).

وأما التّمثيل: فإثبات مماثل للشيء.

وهو هنا: كقول الممثل: (يد الله كَيْدِ المخلوق) تعالى الله.

والفرق بين (التّكيف) و(التّمثيل):

أنّ التّمثيل: ذكّر الصِّفة مُقَيَّدَةً بالمُمَاثِل.

أما التّكيف: فذكر كَيْفِيَّتَهَا.

فكلُّ ممثِّلٍ مُكَيِّفٌ ولا بدّ، ولا يلزم العكس.

فطريقة أهل السُّنَّة والجماعة خالية من هذه المحاذير الأربعة.

وقد اشتهر عن السّلف قولهم: (أَمَرُوهَا كما جاءت بلا كيف)، جاء هذا عن مكحول، والزُّهري، ومالك بن أنس، وسفيان الثّوري، والليث بن سعد، والأوزاعي،

وغيرهم^(١)، وهذه الكلمة تقتضي إثبات ما جاءت به آيات الصفات من المعاني لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله.

ولا يمكن أن تكون مُمرًا لها كما جاءت إلّا باعتقاد ما دلّت عليه من صفات كماله ونعوت جلاله.

فلا تكون مُمرًا لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كما جاء إلّا إذا أثبتّ صفة (الاستواء) لله تعالى.

ولا تكون مُمرًا لقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] كما جاء إلّا إذا أثبتّ صفة الرضا لله تعالى.

وهذه العبارة فيها ردٌّ على المعطلة والمُشبهة، فالردُّ على المُعطلة: في قول السلف: (أمرؤها). والردُّ على المُشبهة: في قول السلف: (بلا كيف).

فهذه الثلاثة -توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات- هي أقسام التوحيد.

ودليل هذا التقسيم: الاستقراء التام لأدلة الكتاب والسنة.

والأدلة في ذلك على نوعين:

النوع الأول: أدلة في كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة على حدة:

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٣/ ٥٨٢)، و«التمهيد» لابن عبد البر

(١٤٩/٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، (٣/ ٢٣٦)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية

(٣٩/٥)، (٤٠١/١٦).

فتوحيد الربوبية: هو في مثل قوله **تَعَالَى**: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقوله **تَعَالَى**: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

وتوحيد الألوهية: هو في مثل قوله **تَعَالَى**: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله **تَعَالَى**: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وتوحيد الأسماء والصفات: هو في مثل قوله **تَعَالَى**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والنوع الآخر: أدلة تجمع هذه الأنواع في سياق واحد، كقوله **تَعَالَى**: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥]: توحيد الربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]: توحيد الألوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]: توحيد الأسماء والصفات.

وتجد ذلك في فاتحة القرآن وخاتمته:

- ففي فاتحة القرآن:

* ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: فيها توحيد الألوهية، لأن إضافة

(الحمد) من العباد إليه **سُبْحَانَهُ** عبادة.

* والربوبية: في قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

* والأسماء والصفات: لأن من أسمائه **سُبْحَانَهُ** (الرَّبِّ).

- وتجد أيضاً في خاتمة القرآن:

* ففي قوله **تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾** [الناس: ١]: الربوبية مع الأسماء والصفات.

* وفي قوله **تَعَالَى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾** [الناس: ٢]: الربوبية مع الأسماء والصفات.

* وفي قوله **تَعَالَى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾** [الناس: ٣]: الألوهية مع الأسماء والصفات.



قال المصنف وفقه الله: صفات الله قسمان: ذاتية وفعليّة:

- ١٠- قَرَّبْنَاهُ عَظِيمٌ ٢٠ وَوَجَّهْنَاهُ كَرِيمٌ
- ١١- فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْعَالًا ٢١ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
- ١٢- وَيَنْزِلُ الْغَفَارُ ٢٢ إِذَا تَجَافَى الْأَشْحَارُ
- ١٣- ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ٢٣ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

من صفاته: كلامه، ومنه: القرآن:

- ١٤- قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ ٢٤ كَلَامُهُ الْمُنْزَلُ
- ١٥- وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ٢٥ أَوْ نَاقِصٍ مَلْخُوقٍ



قال الشارح وفقه الله:

اشتملت هذه الآيات على أسماء وصفات لله **تَعَالَى**.

- ١٠- قَرَّبْنَاهُ عَظِيمٌ ٢٠ وَوَجَّهْنَاهُ كَرِيمٌ

قال: (فَرَبُّنَا): (الرَّبُّ) مِنْ أَسْمَائِهِ **سُبْحَانَهُ**.

ومعاني (الرَّبُّ) في اللُّغة ترجع إلى ثلاثة معانٍ:

الأوّل: المالك، يُقال: (رَبُّ الدَّارِ) أي مالِكُهَا.

والثاني: السَّيِّدُ الْمُطَاع، قال **تَعَالَى**: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]: أي يسقي سيِّده.

والثالث: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ الْقَائِمُ عَلَيْهِ، يُقال: (رَبُّ الرَّجُلِ الشَّيْءُ) إذا أصلحه.

والله **تَعَالَى** هو الرَّبُّ بهذه المعاني كلّها، فهو المالك لكلِّ شيءٍ، وهو السَّيِّدُ الْمُطَاع، وهو الْمُصْلِحُ لأحوال خلقه.

(فَرَبُّنَا عَظِيمٌ): هو العظيم الَّذِي لَهُ مِنْ كُلِّ كَمَالٍ أَعْظَمُهُ، الْمُسْتَحَقُّ لِلتَّعْظِيمِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، كما مرَّ في أوّل النَّظْمِ.

(وَوَجْهُهُ كَرِيمٌ): قال **تَعَالَى**: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]،

﴿ذُو﴾ بِالرَّفْعِ، فهو صفةٌ لقوله **تَعَالَى**: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾، فهو ذو جلالٍ وإكرام.

وَمِنْ صِفَتِهِ: ما جاء في «صحيح مسلم» مِنْ قَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ - أي جلالٌ وجهه وبهاؤه ونوره - ما انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» (١).

وفي «صحيح مسلم» أيضًا قَوْلُهُ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «جَنَّتَانِ مِنْ فَضَّةٍ: آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ: آيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِداءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (٢).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٨٧٨)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٠).

وأهل السُّنَّة يؤمنون بما أخبر الله **تَعَالَى** به وأخبر به رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ولا يُقابِلونه بالتَّمثِيل ولا بالتَّعْطِيل.

١١- فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا ٢١ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

(فَوْقَ السَّمَاءِ قَدْ عَلَا): رَبُّنَا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** له العلوُّ والفوقيَّة، كما قال الشيخ حافظ الحكمي في «سُلم الوصول»^(١):

كَذَلِكَ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّةُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنَّ كَيْفِيَّةَ

وأدلة إثبات علوِّ الله **تَعَالَى** وأنَّه فوق العرش أكثر من ألف دليل كما يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى**، وجاء إثباتها بأدلة متنوعة كثيرة:

منها: التَّصْرِيح:

- بِاسْمِهِ (الْعَلِيِّ): ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤].
- وَبِاسْمِهِ (الْأَعْلَى): ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].
- وَبِاسْمِهِ (الْمُتَعَالِ): ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

ومنها: التَّصْرِيحُ بِالْفَوْقِيَّةِ:

- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

ومنها: التَّصْرِيحُ بِنزول الأشياء منه **تَعَالَى**:

- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].
- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

(١) «سُلم الوصول» البيت (٣٢).

- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: ٢].

ومنها: التّصريح بصفة النّزول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ»^(١) الحديث.

ومنها: التّصريح بعروج الأشياء إليه وصعودها:

- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

- ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

ومنها: التّصريح بأن الله تَعَالَى في السّماء:

- ﴿إِنَّمَا آمَنَ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْفَى بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [المُلك: ١٦]، أي في العلوّ، فكلُّ ما علاك

فهو سماء، أو إذا كانت السّماء بمعنى السّماء المبنية فتكون (في) بمعنى (على) أي فوق

السّماء المبنية، كما قال تَعَالَى: ﴿وَلَا صَلْبَيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي (عليها).

والإجماع على إثبات العلوّ لله تَعَالَى معلومٌ بين السّلف، لم ينطق أحدٌ منهم بخلافه،

ومن أحسن ما كُتِبَ في هذا: كتاب «العلوّ» للإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ.

فهذه عقيدة السّلف، وبها نجاة الخلف.

هذا ما كان يعتقد السّلف من الصّحابة والتّابعين ومن بعدهم.

صحّ عن الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ أنّه قال: (كُنَّا وَالتّابِعُونَ متوافرون نقول: إنّ الله

فوق عرشه، ونؤمن بما ورد من صفاته)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٩٤)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٤ / ٢)، وصحّ إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية في

«بيان تلبيس الجهمية» (١ / ٢٠٧)، و«الفتوى الحموية» (ص ٢٩٦)، «درء تعارض العقل

وهي أيضًا مقتضى الفطرة، لما سمع أبو جعفر الهمداني أبا المعالي الجويني يقول: (إنَّ الله تَعَالَى ليس على العرش، وليس في العلوّ) قال لأبي المعالي: (يا أستاذ، دعنا ممّا تقول وخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في نفوسنا، فما قال عارف قط: "يا الله" إلّا وجد في قلبه ضرورةً إلى طلب العلوّ)، فجعل الجويني يضرب على رأسه ويقول: (حيرني الهمداني، حيرني الهمداني)^(١)، ثمّ رجع في آخر عمره عن كل مقالة قالها يخالف فيها عقيدة السلف^(٢).

والعقل السليم يثبت أن الله تَعَالَى فوق كلّ المخلوقات، لأنّ علوّ الله تَعَالَى على خلقه هو اللائق بكماله، فاللائق بكماله سُبْحَانَهُ: أن يكون في أحسن جهة، في جهة العلوّ لا في جهة السفّل.

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ مِنْ أنواع الأدلّة الدالّة على علوّ الله تَعَالَى ثمانية عشر نوعاً، تحت كلّ نوع عشرات الأدلّة، ذكره في «الإعلام»^(٣).
وذكر واحداً وعشرين نوعاً في «النونية»^(٤)، وقال:

والنقل «٦ / ٢٦٢»، وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٨٦)، و«الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة» (٢ / ٨٨٣).

(١) ينظر: «الانتصار لأهل الأثر المطبوع باسم نقض المنطق» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٦٦)،

و«بيان تلبيس الجهمية» له أيضًا (٤ / ٥١٩)، وكتاب «العلو» للذهبي (ص ٢٥٩).

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨ / ٤٧١)، وكتاب «العلو» للذهبي (ص ٢٥٨).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣ / ٢٠٥).

(٤) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢ / ٤١٦).

يَا قَوْمَنَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا
أَلْفًا تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ
عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ
أُولَى وَذَوْقِ حَالَوَةِ الْقُرْآنِ
كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ
لِجَعَا جِيعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَذْيَانِ
يَا قَوْمِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَيَّ
أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ
وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ
تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ

وهذه المسألة ليست مسألة كلامية لا فائدة منها كما قد يُظنُّ، بل هي عقيدة عظيمة تؤثر في عبادتك، إذا استشعرت في دعائك وصلاتك وجميع عباداتك أنك تدعو وتعبد ملكاً عظيماً، له العلو المطلق، قد استوى على عرشه، وأمره تنزل منه إلى خلقه، وتصعد إليه أعمالهم: هذا يجعلك تشعر في قلبك بخوف من الله، وهيبة عظيمة له، فهذه عقيدة عظيمة تؤثر في عبادتك.

وَمِنْ معاني العلو: علو الصفات، فالله **تعالى** هو العلي في كل صفاته، فعلمه أعلى علم، وقدرته أعلى قدرة، ورحمته أعلى رحمة، وهكذا كل صفات الله **تعالى** لا منتهى لها في معانيها، فهي أعلى الصفات.

فالعلو: علو الذات، وعلو الصفات.

وبعضهم يجعل القسمة ثلاثية، فيقول: (علو الذات، وعلو القدر والمكانة، وعلو

القهر).

قال ابن القيم في «النونية»^(١):

وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعُهَا ذَاتًا وَقَهْرًا مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

قال: (حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى): (الاستواء) معلومٌ في اللغة، كما قال الإمام مالك: (الاستواء غير مجهول).

ف (الاستواء) معناه في اللغة: العلوُّ والارتفاع.

وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام العربية -وَحَسْبُكَ بِهِ-: (أَتَيْتُ أَبَا رِبِيعَةَ الْأَعْرَابِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمَ مَنْ رَأَيْتُ، فَإِذَا هُوَ عَلَى سَطْحٍ، فَسَلَّمْنَا فَرَدَّ عَلَيْنَا السَّلَامَ، وَقَالَ لَنَا: اسْتَوُوا، فَبَقِينَا مَتَحِيرِينَ وَلَمْ نَدْرِ مَا قَالَ؟ فَقَالَ لَنَا أَعْرَابِي إِلَى جَنْبِهِ: إِنَّهُ أَمْرُكُمْ أَنْ تَرْتَفِعُوا، قَالَ الْخَلِيلُ: (هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ١١])، فَصَعَدْنَا إِلَيْهِ^(٢).

وأشهر ما قيل في تفسير (الاستواء): أربع عبارات ترجع إلى معنى العلوِّ والارتفاع، وهي التي ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «النونية»^(٣) في قوله:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعُ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ، وَقَدْ عَلَا، وَكَذَلِكَ أَر تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعُ

(١) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢/ ٣١١).

(٢) ينظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٧/ ١٣٢)، وكتاب «العلو» للذهبي (ص ١٥٩).

(٣) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢/ ٣٦١).

ومذهب السلف في (الاستواء) وفي غير (الاستواء) من الصفات: إثبات الجميع لله تعالى كما يليق بجلاله وكماله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

كما قال الإمام مالك: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) ^(١).

وقد جاء إثبات (الاستواء على العرش) في سبعة مواضع من القرآن:

- في الأعراف.

- ويونس.

- والرعد.

- وطه.

- والفرقان.

- والسجدة.

- والحديد.

في كلها: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، ﴿إِلَّا (طه): ففيها: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَىٰ﴾

[طه: ٥].

(١) ينظر: «الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية» للشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر. ففيه تخريج هذا الأثر، وذكر ألفاظه ورواياته وطرقه ومخرجاتها، وبيان ثبوته، وذكر شواهد من الكتاب والسنة، ونظائره مما جاء عن السلف الصالح، وكلام أهل العلم في التنويه بهذا الأثر، واستحسانهم واستجاداتهم له، واثمانيهم به، وتلقيهم له بالقبول، وعدهم إياه قاعدة مطردة في جميع صفات الله جل جلاله، وبيان مدلوله، والضوابط المستفادة منه في توحيد الأسماء والصفات، والفوائد العامة المستفادة من قصته.

قال الناظم: (حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى):

(العرش) في لغة العرب: سرير المَلِكِ الخاصُّ به ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهُا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]، هذا معناه في اللُّغة.

أَمَّا (العرش) الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ رَبُّنَا مُبَحَّانُهُ وَتَعَالَى كما يليق بجلاله وكماله: فهو مخلوقٌ عظيم، ذو قوائم، تحمله الملائكة، وهو سقف العالم.

هو مخلوق لقوله تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فالله تَعَالَى الخالق، وما سواه مخلوق.

وهو مخلوقٌ عظيم، قد وُصِفَ في القرآن بثلاث صفات:

- وُصِفَ بِالْعَظَمَةِ، ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦].

- وَوُصِفَ بِالكَرَمِ، ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

- وَوُصِفَ بِالْمَجْدِ، ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ﴾ [البروج: ١٥] على قراءة الجرِّ، وبها قرأ من العشرة: حمزة، والكسائي، وخلف العاشر، والباقون بالرفع.

وله قوائم، بدليل ما في «البخاري» من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى أَخِذُ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي: أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٩١٧).

وله حملةٌ مِنَ الملائكة، كما قال **تَعَالَى**: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مِّنْهُ﴾

[الحاقة: ١٧].

وهو سقف العالم، بدليل: ما في «البخاري» من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» (١).

١٢- وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ ٢٢ إِذَا تَجَرَّي الْأَشْحَارُ

١٣- ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ٢٣ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

قال: (**وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ**): الْغَفَّارُ: مِنَ أَسْمَاءِ **تَعَالَى**، وهو كثير المغفرة.

والمغفرة: تَرَكَ الْعُقُوبَةَ مَعَ السِّرِّ وَالرِّضَا، قَرَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ **رَحِمَهُ اللَّهُ** (٢).

هذان البيتان فيهما إثبات صفة التُّزُولِ لِه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما يليق بجلاله.

وأهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ قَاطِبَةً لِسَانِ حَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ فِي جَمِيعِ صِفَاتِ **تَعَالَى**: مَا قَالَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي صِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

وخذ شاهداً على هذا: وهو ما أخرجه الذَّهَبِيُّ فِي كِتَابِ «الْعُلُوِّ» (٣)، وَصَحَّحَ الْأَبَانِيُّ إِسْنَادَهُ فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُوِّ» (٤) عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ التِّرْمِذِيِّ الْفَقِيهِ - وَقَدْ سُئِلَ عَنْ حَدِيثِ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٢٣).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» (١٤٠ / ١٤).

(٣) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ٢١٤).

(٤) ينظر: «مختصر العلو» للذهبي (ص ٢٣١).

النزول - أنه قال: (النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة).

فكلمة الإمام مالك قد أنبتها الله نباتاً حسناً في قلوب أهل السنة، فأجروها في جميع الصفات، لذا يمكن أن تقول: (صفات الله تعالى معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة) (١).

وقد علق الذهبي فقال: (قلت: صدق فقيه بغداد وعالمها في زمانه ... وكان هذا الترمذي من بحور العلم، ومن العباد الورعين، مات سنة خمس وتسعين ومئتين) (٢).
وأحاديث النزول قد بلغت مبلغ التواتر، فهي مما يقطع به، كما قرّر الذهبي في كتاب «العلو» (٣).

وأصح تلك الأحاديث: ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)» (٤).

«مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»: هو مناسبة قوله: (وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ).

(١) ينظر: «الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء دراسة تحليلية» للشيخ عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر ص ١٧٨.

(٢) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ٢١٤).

(٣) ينظر: «العلو» للذهبي (ص ١٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٩٤)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

وَمِنْ ذَلِكَ: نزوله إلى السماء الدنيا عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، كما في «صحيح مسلم» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ»^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ: ما ورد في الأحاديث مِنْ نزول الله تَعَالَى لفصل القضاء.

فالأحاديث في صفة النزول مستفيضة كثيرة جداً.

وأهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بالنزول صفةً لله تَعَالَى على الكيفية التي يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسُّنَّة ويقفون عند ذلك، فلا يُكَيِّفون ولا يُمَثِّلون ولا ينفون ولا يُعْطِّلون، ويقولون: إِنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل.

وقد ذكر ابن القيم في «الصواعق المرسلات»^(٢) أن نزول الربِّ جل وعلا إلى سماء الدنيا قد تواترت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة، وهذا يدلُّ على أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعِيدُ الْكَلَامَ فِيهِ وَيُبْدِيهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ، وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى الْإِبَانَةِ، وَأَنْصَحُهُمْ لِلْأُمَّةِ، وَمَعَ كَمَالِ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاللَّهِ وَكَمَالِ فَصَاحَتِهِ وَكَمَالِ نُصْحِهِ لِلْأُمَّةِ، مَعَ كَمَالِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَرِيدَ بِكَلَامِهِ غَيْرَ ظَاهِرِهِ فِي أَشَدِّ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٣٤٨).

(٢) ينظر: «مختصر الصواعق المرسلات على الجهمية والمعتزلة» (ص ٤٤٤).

فالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»^(١)، وقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ»^(٢)، وأقرَّ الجارية على أنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في السماء^(٣)، ثمَّ يكون كلُّ ذلك المقصود به خلاف ظاهره؟! هذا من أبطل الباطل وأبين المحال.

وقد ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** قصَّةً حصلت لشيخه عبدالله ابن تيمية - وهو أخو شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - في فصل عقده في «الصَّواعق المُرْسَلة»^(٤) في أنه يستحيل مع عِلْم المتكلِّم وفصاحته ونُصحه أن يُريد بكلامه غير ظاهره، ذكر قصَّةً حصلت لعبدالله ابن تيمية مع بعض الجهمية، وكيف أنه أفحم هذا الجهميَّ بأنَّه يستحيل مع توفُّر هذه الثلاثة أن يراد بالكلام غير ظاهره.

وكأنَّ ابن القيم كان مستحضراً هذه القصَّة حين قرَّر هذا المعنى في «النُّونية»^(٥) بأحسن تقرير والطف أسلوب، فقال **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

فَسَلِ الْمُعْطَّلَ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ
مَاذَا تَقُولُ أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ
أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا كُلُّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْخَوَّانِ
أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوَعَانِ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٩٤)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٥٤)، ومسلم في «الصحيح» (٦٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٣٧).

(٤) ينظر: «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» (١ / ٣٢٠).

(٥) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢ / ٤١٦).

فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا مَلَّةٌ مُبَرَّاةٌ مِنَ النُّصَانِ
فَلَايِي شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا لِلنَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ

أي ما قال مرةً واحدة: (ينزل أمر ربنا) أو (ينزل ملك من ملائكته) وهو عالم بالله وناصح للأمة وقادر على البيان، فلماذا لم يُصرِّح ولا مرةً واحدةً بأنه استولى وليس استوى، بأنه ينزل أمره أو ينزل ملك من ملائكته وليس ينزل هو **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؟
قال:

فَلَايِي شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا لِلنَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ
بَلْ مُفْصِحًا بِالضَّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً أَلْ إِفْصَاحٍ مُوَضَّحَةٍ بِكُلِّ بَيَانٍ
وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِالَّذِي صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ
أَلْعَجْزِهِ عَنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرُهُ فِي النُّصْحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟
حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ تَعْطِيلِ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وهذا الدليل - كما ذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** - يقضي على التَّعْطِيلِ بالبطلان.

وحديث النزول قال عنه الإمام الدارمي: (إنَّه أغيظ حديثٍ للجهميَّة) ^(١).

فهذا الحديث فيه: إثبات العلوِّ لله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، لأنَّ فيه ذِكرَ النزول.

- وفيه: إثبات النزول لله **تَعَالَى**.

- وفيه: إثبات الكلام.

(١) «نقض الدارمي على المريسي» (١ / ٥٠٠).

وكون ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر لا ينافي علوه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فما ذكر في الكتاب والسنة من قرب **﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾** [البقرة: ١٨٦]، ومعيته **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** [الحديد: ٤]: لا ينافي ما ذكر فيهما من علوه وفوقيته، فإنه **سُبْحَانَهُ** ليس كمثل شيء في جميع نعوته، فهو علي في دُئوه، قريب في علوه، قاله في «الواسطية» ^(١)، وعقده نظماً الشيخ حافظ الحكمي في «سلم الوصول» ^(٢) في قوله:

وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّةِ لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُئُوهِ وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ

وقد جمع بينهما الناظم **وَفَقَّهُ اللَّهُ** هنا، فقال:

١١- فَوْقَ السَّمَاءِ قَدَعَالًا ٢١ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

١٢- وَيَنْزِلُ الْغَفَّارُ ٢٢ إِذَا تَجِيَّ الْأَسْحَارُ

١٣- ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا ٢٣ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

(ذُو الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا) كما قال **سُبْحَانَهُ**: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾** [غافر: ١٥] أي

هو العلي الأعلى الذي استوى على العرش، وارتفعت درجاته ارتفاعاً باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلت صفاته.

(١) «الواسطية» (ص ٨٥).

(٢) «سلم الوصول» البيتان (٣٤-٣٥).

وَمَنْ اسْتَشْكَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيُعِدْ بقلبه إلى قوله **تَعَالَى**: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فإنه يزول بذلك عنه كل إشكال، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته فكَذَلِكَ ليس كمثله شيء في صفاته، فالقول في الصِّفَات كالقول في الذَّات. وقد نكون أطلنا بعض إطالة في بعض هذه الصِّفَات - كَالْعُلُوِّ وَالنُّزُولِ - وما ذلك إلا لعظيم قَدْرِهَا مِنَ الدِّينِ، ووجود مَنْ يُرَوِّجُ فيها لِقَوْلِ غير أهل السُّنَّةِ أو يُسَهِّلُ الخلاف فيها، فلا بدَّ أَنْ يَرَسَّخَ الْمُعْتَقِدُ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ سلف الأُمَّةِ في النُّفُوسِ، وَيَتَّضَحَّ الْحَقُّ لَطَالِبِهِ، وَيَحْصَلَ الْيَقِينُ بِهِ، وَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ مُخَالَفِهِمْ.

ثم قال:

١٤- قُرْآنُهُ الْمُرْتَّلُ ٢٤ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ

١٥- وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ٢٥ أَوْ نَاقِصٍ مَلْحُوقٍ

هذا الموضوع فيه بحثان:

البحث الأول: في صفة الكلام الثابتة لله **تَعَالَى**.

والبحث الآخر: في القرآن الذي هو بعض كلام الله **تَعَالَى**.

والعلاقة بين صفة الكلام والقرآن علاقة عموم وخصوص، فالقرآن بعض كلام الله

تَعَالَى.

وَمُعْتَقِدُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: إثبات صفة الكلام لله **تَعَالَى** كما يليق بجلاله وكمالهِ

وَعَظَمَتِهِ، قال **تَعَالَى**: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فالله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يتكلم

متى شاء إذا شاء كيف شاء كما يليق بجلاله وعظمته.

وإضافة (الكلام) إلى الله **تَعَالَى** هو من باب إضافة الصِّفة إلى الموصوف.

والمضافات إلى الله **تَعَالَى** على نوعين:

- مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، مِثْلُ: سَمِعَ اللَّهُ، وَبَصَرَ اللَّهُ، وَقُدِّرَ اللَّهُ، وَكَلَامُ اللَّهِ، وَضَابِطُهُ: أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ وَصْفًا لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْمَوْصُوفِ.
- وَالْآخَرُ: مُضَافٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ، مِثْلُ: عَبْدُ اللَّهِ، وَأَمَّةُ اللَّهِ، وَنَاقَةُ اللَّهِ، وَبَيْتُ اللَّهِ، وَضَابِطُهُ: أَنْ يَكُونَ الْمُضَافُ عَيْنًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ.
- فَالأَوَّلُ: إِضَافَةُ أَوْصَافٍ.

وَالْآخَرُ: إِضَافَةُ أَعْيَانٍ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النُّونِيَّةِ»^(١):

فَإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ كِبَارَادَةُ الرَّحْمَنِ
وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ مُلْكًا وَخَلْقًا مَا هُمَا سَيَّانِ
فَانْظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ

(بيت الله): هذه إضافة أعيان، مِنْ إِضَافَةِ الْمَخْلُوقِ إِلَى الْخَالِقِ.

و(علم الله): هذه إضافة أوصاف، مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ.

وَمِنْ كَلَامِهِ: هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، فَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْسَمِ، فَيَقُولُ: «أَلَا رَجُلٌ

يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ قُرِيشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبْلُغَ كَلَامَ رَبِّي»^(٢).

(١) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢/ ٢٣١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥١٩٢)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٣٤)، والترمذي في «الجامع»

قال: (كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ): أي من الله عَزَّجَلَّ على نبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما قال سُبْحَانَهُ:

﴿وَلِئِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ *﴾ [الشعراء: ١٩٢ -

١٩٤]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١].

١٥- وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ ٢٥ أَوْ نَقِصٍ مَلْحُوقٍ^(١)

قال: (وَلَيْسَ بِالْمَخْلُوقِ)، خلافاً للجهمية القائلين بخلق القرآن.

وقد أجمع أهل السنة على أن القرآن: كلام الله ليس بمخلوق، وقد قال الله تَعَالَى:

﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فغَايَرَ بَيْنَ (الْخَلْقِ) وَ(الْأَمْرِ)، والقرآن من الأمر،

قال تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، ولأنَّ القرآن من كلام الله،

وكلام الله صفةٌ من صفاته، وصفاته غير مخلوقة، تعالى الله أن يكون شيءٌ من صفاته مخلوقاً.

قال ابن أبي داود رَحِمَهُ اللَّهُ في «الحائية»^(٢):

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الْاِتِّقْيَاءُ وَأَفْصَحُوا

(٢٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٠)، وابن ماجه في «السنن» (٢٠١)، وهو في سلسلة

الأحاديث الصحيحة (١٩٤٧) (٤/ ٥٩١).

(١) قال الناظم -وفقه الله- في هوامش المنظومة ص٤٧: (مَلْحُوقٍ) تعني شيئين: أنه لم تلحقه

زيادة، وأنه لا يلحقه الخلق في إعجازه. ومن يريد النَّصَّ على أن كلام الله بصوت وحرف يقول:

بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ وَلَا مَخْلُوقٌ أَوْ مُبَدَّلًا

(٢) «حائية ابن أبي داود» البيت (٣).

بهذا المعتقد - وهو أن القرآن: كلام الله غير مخلوق - دان الأتقياء وأفصحوا، فهو معتقدتهم الذي به يدينون، وعنه يفصحون في كتبهم ومصنفاتهم ومجالسهم، والنقول عنهم في ذلك كثيرة جداً.

وقد عقد اللالكائي **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»^(١) فصلاً، سمى فيه أكثر من خمس مئة نفس، كلهم يقررون أن القرآن كلام الله **تَعَالَى** غير مخلوق، وأن من قال: (إنه مخلوق) فهو كافر.

قال ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** «النونية»^(٢):

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِّنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
وَاللَّالِكَايِيَّ الْإِمَامَ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلَّ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

قال: (أو ناقص ملحق): أي لم ينقص منه شيء، ولم يلحق به شيء، أي لم يزد عليه شيء، قد حفظه الله من أن ينقص منه أو يزداد فيه، قال **سُبْحَانَهُ**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

ونفي أن يكون ملحقاً: يفسر بشيئين:

- أنه لم يزد عليه شيء.

- وأنه لا يلحقه الخلق في إعجازه، فقد تحدى الجن والإنس قاطبة أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله أو بسورة - مع شدة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه - فعجزوا.

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٣١٢).

(٢) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٢/ ٢٣١).

قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وإيمانك بأن القرآن كلام الله حقيقة، صفةٌ من صفاته، ليس بمخلوق: يحملك على تعظيم القرآن وإجلاله، فإذا قرأته اعتقدت أنك تقرأ كلام الله الذي تكلم به، وسمعه منه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأقبلت عليه بقلبك، وبادرت إلى تصديق أخباره وامتنال أوامره واجتناب نواهيه.

وقد ذكر الناظم وَفَقَهُ اللَّهُ في هذا الموضع جملة من صفات الله تَعَالَى، وهي قسمان: ذاتيةٌ وفعليّةٌ كما ترجم بذلك الناظم لهذه الأبيات، وبينه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القواعد المثلى»^(١):

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة، ومنها في النظم: العظمة والوجه والكرم والعلو. والفعليّة: هي التي تتعلق بمشيئته، يفعلها الله متى شاء، ومنها في النظم: الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(١) «القواعد المثلى في صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنی» (ص ٢٥).

إتماماً للفائدة: هذا مجمل الأسماء والصفات والأخبار التي ذكرها الناظم **وَفَقَهُ اللهُ** في منظومته:

- العظيم، والواحد، والكريم، في المقدمة.
- والرَّحْمَن، والمعبود، والمَنَّان، والله، والرَّبُّ، في باب الأصول الثلاثة.
- والمجيد، والخلاق، والرَّزَّاق، والمدبِّر، والنَّافع (ويقابله الضَّارُّ)، والمالك، والرَّافع (ويقابله الخافض)، في باب التوحيد وأنواعه.
- والغفور، وعالم الغيوب، وغافر الذنوب، وكاشف الكروب، وشاهد القلوب، في باب حماية جناب التوحيد.
- والإله، والحكيم، في باب مراتب الدين.
- والجبار، في باب الآخرة.
- القهار، في باب الحقوق ومكارم الأخلاق.
- والحميد، في الخاتمة.



قال المصنف وفق الله:

حماية جناب التوحيد

١ - فَلْتَحْمِيْنَ جَنَابَهُ ٢٦ وَطَهَّرْنَ رَحَابَهُ



قال الشارح وفق الله:

حماية جناب التوحيد

هذا بابٌ جليل القدر، عظيم النفع، وهو من زوائد الإصدار الثاني للمنظومة.

١ - فَلْتَحْمِيْنَ جَنَابَهُ ٢٦ وَطَهَّرْنَ رَحَابَهُ

قال: (فَلْتَحْمِيْنَ جَنَابَهُ): جناب الشيء: جانبه.

يقول: إذا عرفت عظيم قدر التوحيد، وأنه الغاية التي خُلق لها الخلق، وأعظم ما أمر الله عزَّ وجلَّ به = إذا عرفت ذلك (فَلْتَحْمِيْنَ جَنَابَهُ وَطَهَّرْنَ رَحَابَهُ)، بسدِّ ذرائع الشرك وإغلاق طرائقه، اقتداءً بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد حمى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد من جميع جوانبه، وحذَّر وأنذر، وأبدأ وأعاد، وخصَّ وعمَّ في حماية التوحيد الذي بعثه الله به، وسدَّ كلَّ الذرائع التي تُكدر صفو التوحيد أو تخذشه من أقوالٍ أو أفعالٍ، وكان أشدَّ شيءٍ حرصاً على ذلك، حتَّى اللَّحظات الأخيرة من حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتي كان يعالج فيها أمراً عظيماً ما كفَّ عن التحذير من وسائل الشرك وذرائعه، يقول: «لَعَنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحذَّر ما صنعوا^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٣٥)، ومسلم في «الصحيح» (٥٣١).

وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ حَافِظٌ عَلَيْهَا وَلَمْ يُفَرِّطْ فِيهَا، وَالتَّوْحِيدَ وَالْإِيمَانَ أَعْظَمَ مِنْ جَمِيعِ جَوَاهِرِ الدُّنْيَا، فَالْوَاجِبُ: حِمَايَةُ جَنَابِهِ، وَتَطْهِيرُ رَحَابِهِ عَنْ كُلِّ مَا يَنْقُضُهُ أَوْ يَنْقُضُهُ وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُ.

ثُمَّ شَرَعَ يَذْكُرُ جُمْلَةً مِمَّا يُحِمِّي بِهِ حِمَى التَّوْحِيدِ وَتُسَدُّ بِهِ ذُرَائِعُ الشُّرْكِ، قَالَ:

المناهي اللَّفْظِيَّة:

٢- وَاحْلِفْ بِرَبِّ الْخَلْقِ ٢٧ لَا بِالنَّبِيِّ وَالْخَلْقِ

(الْحَلْفُ): اليمين، وهو تأكيد الشيء بذكر اسم الله أو صفته، بأن يقول: (والله) أو (والعظيم)، ونحو ذلك.

يقول: إذا حلفت فاحلف بِرَبِّ الْخَلْقِ، ولا تحلف بغيره، كالحلف بـ(النبي) و(سائر الخلق)، كقول: (والنبي)، (والكعبة)، (وأبي)، (وحياتي)، (وحياة ولدي)، (وشرفي)، (والأمانة)، (والنعمه)! فهذا كله من الحلف بغير الله.

وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ» متفق عليه (١).

وثبت عند أحمد وأبي داود والترمذي من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» (٢)، هكذا على الشك من

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٦٧٩)، ومسلم في «الصحيح» (١٦٤٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦٠٧٢)، وأبو داود في «السنن» (٣٢٥١)، والترمذي في «الجامع»

(١٥٣٥)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٨ / ١٨٩).

الرَّأوي. وأكثر مَنْ أخرج الحديث أخرجه بلفظ «أَشْرَكَ»، فهذا اللَّفْظ هو الأكثر في رواية الحديث، وهو الأنسب للمعنى، لأنَّ الحلف بغير الله شركٌ مع الله في التَّعْظِيم. في الحديث: تحريم الحلف بغير الله، وقد نَقَلَ ابن عبد البر وابن تيمية الإجماع على النَّهي عن الحلف بغير الله^(١)، وهو مِنَ الشُّرْكَ الأصغر لكن إذا عَظَّمَ الحالفُ المحلوفَ به التَّعْظِيمَ الَّذي لا ينبغي إلَّا لله كان مِنَ الشُّرْكَ الأكبر.



(١) ينظر: «التمهيد» لابن عبد البر (١٤ / ٣٦٧)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٥ / ٢٤٣).

قال المصنف وفق الله:

٣- وَلَا تَقُلْ: (مُطِرْنَا بِالنَّجْمِ) أَوْ (أَخْصَبْنَا)



قال الشارح وفق الله:

من المناهي: قول: (مُطِرْنَا بالنَّجْمِ الفلاني) أَوْ (أَخْصَبْنَا به)، واعتقاد أن للنجوم تأثيراً في نزول المطر وحصول الخصب.

والأصل في ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليل).

إثر الشيء: ما يعقبه، والمراد بـ(السماء) هنا: المطر، سُمِّيَ (سماءً) باعتبار جهته، لأنه ينزل من السماء، والمعنى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ بعد مطرٍ نزل ليلاً. قال: (فلَمَّا انصرف النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَذُرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: "الله ورسوله أعلم"، قال: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»).

هذا الكفر ليس كُفْرًا مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ، لأنَّ الْعِبَادِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ هُنَا عِبَادِيَّةُ الْإِيمَانِ، أَيِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ.

«فَأَمَّا مَنْ قَالَ: (مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ) فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ»: هذه الجملة قالها المؤمنون، قالوا: (مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ)، فَاكْتَسَبَتْ صِفَةَ الذِّكْرِ الْمَشْرُوعِ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَقْرَاهَا، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَاهَا، فَيُشْرَعُ لَنَا إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ أَنْ نَقُولَ: (مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ).

«وَأَمَّا مَنْ قَالَ: (بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا)» أي مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كذا وكذا «فَذَلِكَ كَاثِرٌ بِي مُؤْمِنٌ

بِالْكُوكَبِ»^(١).

النَّوْءُ: جمعه (أنواء)، و(الأنواء): منازل القمر.

وجه كُفْرُه: أنه وقع منه لفظٌ ينافي التَّوْحِيدَ الواجب، حيث نَسَبَ المطرَ إلى النَجْمِ نسبةً سببٍ، فيكون شركاً أصغر، لأنَّ فيه إثباتَ سببٍ لم يثبت كونه سبباً، ثمَّ هو من نسبة نعمة الله إلى غيره، وقد قال **تَعَالَى**: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي تجعلون بدل أن تشكروا الله على ما رزقكم من المطر: أنكم تُكذِّبون، فتنسبون المطر إلى النَّوْءِ فتقولون: (مُطِرْنَا بِنَوْءٍ كذا).

ولو صدر هذا القول من معتقِدٍ أنَّ النَّوْءَ هو المؤثر لكان شركاً أكبر مُخْرِجاً مِنَ الْمِلَّةِ، لكنَّ الواقع في الحديث: هو من النَّوعِ الأوَّل، فعَلَّمَهُمُ النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ما ينبغي أن يقولوه.

أَمَّا إِذَا كَانَتْ (الباء) لِلظَّرْفِيَّةِ -أي (مُطِرْنَا فِي وَقْتِ نَوْءٍ كذا)- فالمعنى صحيح، وَالْأَوَّلَى: تَجَنَّبَ هَذَا التَّعْبِيرَ، سَدًّا لِلذَّرِيعَةِ وَبُعْدًا عَنْ مُشَابَهَةِ أَهْلِ الشُّرْكِ.

وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ النَّسْبَةُ نِسْبَةً سَبَبٍ: فَهُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ، وَإِذَا كَانَتْ نِسْبَةً تَأْثِيرٍ دُونَ تَقْدِيرِ اللَّهِ: فَهُوَ شِرْكٌ أَكْبَرُ، وَإِذَا أُريدَتِ الظَّرْفِيَّةُ: فَالْمَعْنَى صَحِيحٌ، وَالْأَوَّلَى: تَجَنَّبَ هَذَا التَّعْبِيرَ، فيُقال: (مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فِي النَّجْمِ الْفُلَانِي).



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٨٤٦)، ومسلم في «الصحيح» (٧١).

قال المصنف وفقه الله:

٤- وَ(رَبُّنَا قَدْ شَاءَ) ٢٩ وَشِئْتُ، لَا سَوَاءَ



قال الشارح وفقه الله:

من المناهي: قول: (رَبُّنَا قَدْ شَاءَ وَشِئْتُ)، أو (ما شاء الله وشاء فلان).

والأصل في ذلك: ما أخرجه أحمد وأبو داود من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: (مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ)، وَلَكِنْ قُولُوا: (مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ)»^(١).

المحظور في صيغة (ما شاء الله وشاء فلان): العطف بـ(الواو) التي تقتضي التسوية، ولا سواء بين الخالق والمخلوق، فمن قال: (ما شاء الله وشاء فلان) جعل مشيئة صاحبه كمشيئة الله!

ومثله: قول: (هذا من الله ومنك)، و(بفضل الله وفضلك)، و(أنا بالله وبك)، و(ما لي إلا الله وأنت)، و(لولا الله وأنت لهلك)، و(هذا من بركات الله وبركاتك)، و(أرجو الله وفلاناً)، و(أعتمد على الله وعليك)!! فهذا كله مُحَرَّم.

العطف بـ(الواو) مُحَرَّم، لَأَنَّهُ يُؤْهِمُ التَّسْوِيَةَ بَيْنَ اللَّهِ وَخَلْقِهِ. والعطف بـ(ثم) جائز، لَأَنَّهَا تَفِيدُ التَّرْتِيبَ وَالتَّرَاخِي، فَارْتَفَعَ مُحْظُورُ التَّسْوِيَةِ.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٢٦٥)، وأبو داود في «السنن» (٤٩٨٠)، والنسائي في «الكبرى»

(١٠٧٥٥)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٧) (١/ ٢٦٣).

والكمال: في قول: (ما شاء الله وحده)، لحديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رجلاً قال للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما شاء الله وشئت) فقال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(١)، فأنكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العطف بـ (الواو)، وأرشده إلى قول: (ما شاء الله وحده).

فالمُحرَّم: أن يقول: (ما شاء الله وشاء فلان).

ودرجة الجواز: العطف بـ (ثم).

ودرجة الكمال: إفراد الله تَعَالَى بالمشيئة، إمعاناً في كمال توحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، والنسائي في

«الكبرى» (١٠٧٥٩)، وحسن إسناده الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٩) (١/

قال المصنف وفقه الله:

هـ- وَ(لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ ٣٠ لِلذَّنْبِ، وَالتَّحَسُّرِ



قال الشارح وفقه الله:

يُقَالُ: (تَعَذَّرَ عَلَيَّ الْأَمْرُ) إِذَا تَعَسَّرَ.

وَتَعَذَّرَ أَيْضًا إِذَا اعْتَذَرَ وَاحْتَجَّ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

فَمِنَ الْمَنَاهِي: قَوْلُ: (لَوْ) لَدَى التَّعَذُّرِ لِلذَّنْبِ الَّذِي فَعَلْتَهُ، فَتَسْتَعْمَلُهَا احْتِجَاجًا

بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَعَاصِي، كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا

مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٢٠].

وَكَذَلِكَ قَوْلُ: (لَوْ لَا) لِلتَّحَسُّرِ وَالنَّدَمِ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، لِمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ

بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا)، وَلَكِنْ قُلْ:

(قَدَرُ اللَّهِ ^(١)، وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلُ الشَّيْطَانِ ^(٢).

«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ»: أَيُّ وَقَعَتْ عَلَيْكَ مَصِيبَةٌ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «فَلَا تَقُلْ: (لَوْ أَنِّي

فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا)، وَلَكِنْ قُلْ: (قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ)»: لَا تَقُلْ تَنْدُمًا وَتَحَسُّرًا: (لَوْ

أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا). فَكَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُ (لَوْ) فِي الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الشَّرْعِ، وَفِي

الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدَرِ، وَفِي الْإِحْتِجَاجِ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمَعَاصِي، فَكَذَلِكَ يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهَا

(١) قَالَ النَّازِمُ - وَفَقَهُ اللَّهُ - فِي هَوَاشِ الْمَنْظُومَةِ ص ٧٤: (قَدَرُ اللَّهِ): هَذَا الْأَظْهَرُ فِي رِوَايَةِ الْحَدِيثِ،

أَيُّ هَذَا قَدَرُ اللَّهِ، وَيَجُوزُ (قَدَرُ اللَّهِ).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» (٢٦٦٤).

تَنْدُمًا وَتَحَسُّرًا عَلَى مَا فَاتَ، بَلِ اسْتَسْلِمَ وَاعْلَمَ أَنَّ مَا جَرَى كَانَ بِقَدَرِ اللَّهِ فَلَا بَدَّ مِنَ التَّسْلِيمِ لَهُ.

«فَإِنَّ (لَوْ) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»: فهي مفتاح التَّسَخُّطِ والتَّحَسُّرِ والجَزَعِ مع ما فيها من اعتراضٍ على قَدَرِ اللَّهِ، وهذا من عمل الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ يَلْقَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ التَّحَسُّرَ والحُزْنَ.

ف(لو) تفتح وساوس الشَّيْطَانِ وتشكيكه، والشَّيْطَانُ يريد أن يحزن الذين آمنوا. وحكمُ اللَّهِ الشرعيُّ والقَدَرِيُّ كُلُّهُ خَيْرٌ لعباده، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

و(لو) إذا استعملت للتَّعَذُّرِ للذَّنْبِ، أو للتَّحَسُّرِ، أو اعتراضًا على الشرع، أو على القَدَرِ: فهي مذمومة.

وقد تُستعمل للخبر المَحْضِ، كأن يقول لك صاحبك: (لو حفظت هذا المتن ستستفيد)، و(لو سلكت هذه الطريق ستصل إن شاء الله)، فهذا جائز. وتُستعمل أيضًا للتَّمَنِّي، وهي بحسب المُتَمَنَّى، فَمَنْ تَمَنَّى وقال: (لو أن لي مالًا لعملتُ به عمل فلانٍ من الخير)، فكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُوَ بَيْنَهُمَا فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ»، وإذا قال: (لو أن لي مالًا لعملتُ به عمل فلانٍ من الشرِّ): فكما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُوَ بَيْنَهُمَا فَوْزُهُمَا سَوَاءٌ»^(١).



(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٢٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»

قال المصنف رحمه الله:

٦- وَالِدَهُ لَا تُسَبِّحُ ٣١ وَالرَّيْحُ، تُؤْذِي الرَّبَّ



قال الشارح رحمه الله:

مِنَ الْمَنَاهِي: سَبُّ الدَّهْرِ وَالرَّيْحِ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَأْمُورَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذِيَّةٌ
لِلَّهِ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

في «الصَّحِيحِينَ» عن أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «قَالَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: (يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)» ^(١).

قال الله **تَعَالَى**: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ»: الْأَذِيَّةُ: التَّنْقِصُ، وَأَمَّا الضَّرَرُ: فَإِنَّهُ لَا يَلْحَقُهُ **سُبْحَانَهُ**،
كما قال **تَعَالَى**: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وفي الحديث القدسي: «يَا
عِبَادِي، إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضَرْيَ فَتَضُرُّونِي» ^(٢)، فالعباد قد يؤذون الله لكنهم لا يضرُّونه،
قال **تَعَالَى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وانظر إلى قوله **تَعَالَى**: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١]، فالضرر أعظم من
الأذى، ولا يلزم من حصول الأذى حصول الضرر.

«يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ»: جَعَلَ سَبُّ الدَّهْرِ أَذِيَّةً لَهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.
«وَأَنَا الدَّهْرُ»: أَي مَالِكِ الدَّهْرِ وَمُصَرِّفِهِ، يُفَسِّرُهُ قَوْلُهُ بَعْدَهُ: «أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٨٢٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٥٧٧).

ثُمَّ (مُقَلَّبٌ)، و(مُقَلَّبٌ): ف(المُقَلَّبُ): هو الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، و(المُقَلَّبُ): هو الدَّهْر، الَّذِي هو اللَّيْل والنَّهَار.

و(سَبُّ الدَّهْرِ) ثلاثة أقسام:

الأوَّل: أَنْ يَسْبَّ الدَّهْرُ عَلَى اعتقاد كونه فاعلاً مع الله **تَعَالَى**، فهذا شِرْكٌ أَكْبَرُ، لِأَنَّهُ أَثْبَتَ خَالِقاً مَعَ الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

الثَّانِي: أَنْ يَسْبَّ الدَّهْرُ عَلَى اعتقاد كونه سبباً في تلك الحوادث، وهذا شِرْكٌ أَصْغَرُ، لِأَنَّهُ جَعَلَ مَا لَمْ يَجْعَلْهُ الله سبباً سبباً، أَيْ اعتقد السَّبَبِيَّةَ فيما لَمْ يَجْعَلْهُ الله سبباً.

الثَّالِث: أَنْ يَسْبَّ الدَّهْرُ لَا مَعَ اعتقاده فاعلاً وَلَا سبباً، فهذا مُحَرَّمٌ، لِمَا فِيهِ مِنَ الاعتراض على القَدَر، كَأَنْ يَقُولَ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّمِ والضُّيْقِ: (هذا يوم نحس)، أَوْ (هذا شهر شؤم)، أَوْ (الزَّمن غدار)، فهذا مُحَرَّمٌ.

أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ الْخَبَرَ الْمَحْضَ: فهذا جائز:

كما قَالَ لوطٌ **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧].

ومنه: قوله **تَعَالَى**: ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٦]: أَيْ نحسات على أعداء الله، لِأَنَّهُ أَوْقَعَ بِهِمُ الْعُقُوبَةَ فِيهَا.

ومثله: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف: ٤٨].

ومنه: تسمية سَنَةٍ بِ(سَنَةِ الْمَجَاعَةِ).

وَكَأَنَّ يُقَالُ: (هذا يومٌ شديد الحرِّ)، أَوْ (يومٌ شديد البرد)، أَوْ (يومٌ قَائِظٌ) عَلَى سَبِيلِ الْإِخْبَارِ، فَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ الْخَبَرَ الْمَحْضَ لَا الْعِتْرَاضَ وَالتَّبَرُّمَ فَهُوَ جَائِزٌ.

وَالْأَصْلُ فِي (الرَّيْحِ): مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «لَا تَسْبُوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ

خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرْتُ بِهِ»^(١).

«لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ»: أي لا تَذْمُوهَا إِذَا لِحَقَّكُمْ بِسَبِّهَا أَمْرٌ تَكْرَهُونَهُ.

«فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ»: مِنْ شِدَّةِ حَرٍّ، أَوْ شِدَّةِ بَرَدٍ، أَوْ قُوَّةِ رِيحٍ.

«فَقُولُوا: (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرْتُ بِهِ)»

الحديث، وهذا أدبٌ نبويٌّ ينبغي أن يتأدَّبَ به المؤمن، فإذا رأى الرياح وهبوبها فلا يتبرَّم، فيفضي به ذلك إلى سبِّها وهي مُدْبِرَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، واللَّهُ عَزَّوَجَلَّ هو المُدْبِرُ المُقَدَّرُ، فسبُّها اعتراضٌ على قَدَرِ اللَّهِ.

ويدخل في النَّهْيِ: سَبُّ غَيْرِهَا مِمَّا يُقَدَّرُهُ اللَّهُ، كَالصَّوَاعِقِ.

لكن لو وقع ذلك على سبيل الوصف والخبر المَحْضِ - كما سبق - كأن يقول:

(هَبَّتْ رِيحٌ عَاتِيَةٌ) أَوْ (بَارِدَةٌ): فلا حرج، وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْتَكَمُوا بِرِيحِ

صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٦]: أي شديدة الهبوب، فهذا وَصْفٌ لِلرِّيحِ بِالشِّدَّةِ.

وإنما المحذور: أن يصدر ذلك على سبيل السَّبِّ والذَّمِّ.



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢١١٣٨)، والترمذي في «الجامع» (٢٢٥٢)، والنسائي في

«الكبرى» (١٠٧٠٣)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٧٥٦) (٦/

قال المصنف وفق الله: الغلُو والتساهل في الدين:

٧- أَوْ تَغْلُوْنَ فِي الدِّينِ ٣٢ أَوْ تَقْرِطْنَ فِي الدِّينِ

٨- أَوْ تُطْرَيْنَ نَبِيًّا ٣٣ أَوْ صَالِحًا وَلِيًّا



قال الشارح وفق الله:

الغلُو: مجاوزة الحد المشروع.

أخرج أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»، فَحَذَّرَ مِنْهُ وَزَجَرَ عَنْهُ، ثُمَّ بَيَّنَّ عَاقِبَتَهُ فَقَالَ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»^(١).

وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثاً^(٢).

وَمِنَ التَّنَطُّعِ: الْغُلُوُّ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِطْرَاؤُهُمْ، وَالْمَبَالِغَةُ فِي مَدْحِهِمْ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي بَعْدَهُ، قَالَ:

٨- أَوْ تُطْرَيْنَ نَبِيًّا ٣٣ أَوْ صَالِحًا وَلِيًّا

وقد أخرج البخاري في «صحيحه»: عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا:

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٥١)، والنسائي في «المجتبى» (٣٠٥٧)، وابن ماجه في «السنن»

(٣٠٢٩)، وصحح إسناده الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥ / ١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٧٠).

(عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)» (١).

الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه.
والنصاري غلّوا في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأطروه حتى ادّعوا له الألوهية!!
فنهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إطرائه كما أطرت النصاري ابن مريم ثم قال: «فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ»: أي ليس لي من حق الربوبية شيء.
و(إنما): أداة حصر، فقطع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطريق على كل نزعة غلو.
ثم أمر بالتوسط في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «فَقُولُوا: (عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)»، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موصوف بهذين الوصفين.
وفي وصفه بأنه (عبد لله) ردّ على أهل الغلو، الذين يجعلون له شيئاً من صفات الربوبية أو حقوق الألوهية.
وفي وصفه بأنه (رسول) ردّ على أهل الجفاء، الذين لا يعزّرونه ولا يؤقرونه.
فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد لله لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويُتبع.
ومن كان من أهل الصّلاح والفضل والعلم فحقّه: الإجلال والانتفاع بعلمه، والتأسي بأخلاقه وعمله، ولا يغلى فيه.
وسبب هلاك قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ووقوعهم في الشرك: هو غلوهم في صالحهم (وُدّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر)، حتّى آل الأمر إلى أن عبدوهم من دون الله، وهم لم يعبدوهم من أوّل الأمر، بل غلّوا في حُبِّهم وتعظيمهم، بأن عكفوا على قبورهم وصوّروا تماثيلهم ثمّ عبدت هذه الأنصاب من دون الله.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٤٥).

وهذا يُبين أنَّ الشُّركَ ينتشر إذا قلَّ العلمُ وقلَّ مَنْ يدعو إلى التَّوحيد، فنَشَرَ التَّوحيدَ
وَعَرَّسَهُ في النَّاسِ حجابٌ - بإذن الله - دون وقوع الشُّركِ في هذه الأُمَّة.

وَيُقَابِلُ الغُلُوَّ في الدِّينِ: الإفراط في اللِّين، قال: (أَوْ تُفْرِطَنَّ فِي اللِّينِ).

والمقصود به: التَّساهُلُ في الحدِّ المشروع في الدِّينِ بفِعْلِ المحرِّماتِ، والتَّساهُلِ
بالذُّنوبِ وفاسدِ الأخلاقِ، وعدمِ المبالاةِ بانتشارِ الرَّذيلةِ أو المشاركةِ فيها.

فلا غُلُوَّ في الدِّينِ، ولا إفراط في اللِّين، ودين الله وسطٌ بين طرفين، وهُدًى بين
ضالَّتين، وحقٌّ بين باطلين.

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصَّوَابِ قَوِيمٌ
وَلَا تَغُلْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كَلَّا طَرَفِي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ



قال المصنف رحمه الله:

٩- أَوْ تَهْـزَأْ بِـرَّأْسِ اللَّهِ ٣٤ أَوْ دِينِهِ يَا لَاهِي



قال الشارح رحمه الله:

دينُ الله تَعَالَى مَبْنَاهُ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَإِجْلَالِهِ، وَتَعْظِيمِ دِينِهِ وَرُسُلِهِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ.

قال الله تَعَالَى: ﴿مَالِكُ لَا تَزْحُوتُ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (عَظَمَةُ) أَي مَا لَكُمْ لَا تَرَوْنَ لِلَّهِ عَظَمَةً، فَاللَّهُ تَعَالَى أَهْلٌ أَنْ يُعَظَّمَ، وَأَنْ يُجَلَّ وَيُكْرَمَ. لذلك أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ نَالَ مِنْ مَقَامِ الرَّبِّ جَلًّا وَعَلَا أَوْ دِينَهُ أَوْ مِنْ مَقَامِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبِّ أَوْ اسْتِهْزَاءٍ أَنَّهُ يَكْفِرُ بِذَلِكَ.

وَيَدْخُلُ فِيهِ: الْاسْتِهْزَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَأَحْكَامِ الدِّينِ، وَالْاسْتِهْزَاءُ بِأَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ مِنْ أَجْلِ دِينِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ، أَمَّا الْاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ لِغَيْرِ دِينِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ فَيَفْسُقُ.

وقد قال الله تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿[التوبة: ٦٥، ٦٦]، وَهَذَا نَصٌّ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْاسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرٌ، وَأَنَّ مَنْ حَصَلَ مِنْهُ ذَلِكَ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَقَدْ صَارَ بِهِ كَافِرًا.

ويوضح ذلك: سبب نزول الآية، وهو ما أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»^(١)، واحتج به شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ»^(٢)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٦ / ١٨٢٩) بنحوه.

(٢) ينظر: «الصَّارِمُ الْمَسْلُوبُ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣١).

قال رجل في غزوة تبوك: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا) أي أكثر أكثلا (ولا أكذب أسنًا، ولا أجبن عند اللقاء) أي لقاء العدو، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء!

القراء: هم العالمون بالكتاب والسنة في عرف السلف.

وكان أصحاب هذا المتكلم راضين بكلامه، فكان حكمهم واحداً، لذا جاء ضمير

الجمع: ﴿كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

فقال له عوف بن مالك: (كذبت، ولكنت منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ)، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته -، فقال: (يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، وتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: (كأنني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ، وإن الحجارة تنكب رجله وهو يقول: "إنما كنا نخوض ونلعب"، فيقول له رسول الله ﷺ: ﴿أَبَا اللَّهِ وَأَيُّنِهِ، وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]؟! ما يلتفت إليه وما يزيده عليه) النسعة: الحزام يُربط به الرجل.

فالاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ كفرٌ مُخرجٌ من الملة، نسأل الله العافية.



قال المصنف وفقه الله:

التبرُّك والتَّوسُّل:

١٠- بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكُ ٣٥ وَمَا سِوَاهُ يُتْرَكُ



قال الشارح وفقه الله:

التَّبَرُّك: طَلَبُ الْبَرَكَةِ.

والبركة: كثرة الخير ودوامه.

والبركة من الله، كما قال النبي ﷺ في حديث البخاري في (تَبَعِ الْمَاءَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ)، قال: «حَيَّ عَلَى الطَّهُّورِ الْمُبَارِكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»^(١).

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل البركة في بعض الأزمنة، كـ (ليلة القدر) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ

مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

أو الأمكنة، كالمسجد الأقصى ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

أو في بعض الدَّوَات، كنبينا ﷺ، يُتَبَرَّكُ بذاته وعرقه وثيابه، وقد صحَّ هذا مِنْ فِعْلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع نبينا ﷺ، لكنَّه خاصٌّ بالنبي ﷺ، لا يُقَاسُ عليه فيه غيره مِنَ الصَّالِحِينَ، لأنَّ الصَّحَابَةَ ما تَبَرَّكُوا بغيره ﷺ في حياته ولا بعد موته، فلم يتبرَّكوا بأبي بكر ولا بعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكذلك لم يتبرَّك

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٥٧٩).

التَّابِعُونَ بِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يُتَبَرَّكَ بِأَثَرِ حَسِّيٍّ مِنْ آثَارِ الصَّالِحِينَ إِلَّا بِآثَارِ نَبِيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكذلك القرآن الكريم مبارك، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، والتَّبَرُّكُ به يكون بتلاوته، والاستشفاء به، والعمل بما فيه.

و(التَّبَرُّكُ) نوعان:

- تَبَرُّكٌ مشروع، وهو الَّذِي قال فيه: (بِالثَّابِتِ التَّبَرُّكُ).

- وَتَبَرُّكٌ ممنوع، وهو الَّذِي قال فيه: (وَمَا سِوَاهُ يُتَرَكُ).

فالمشروع: هو التَّبَرُّكُ بما جعله الله سبباً للبركة على وفق الشرع.

والممنوع: هو اعتقادُ البركةِ والتماسُها فيما لم يجعله الله سبباً.

ثمَّ قد يكون شَرْكاً أكبر، وقد يكون أصغر:

يكون شَرْكاً أكبر: إذا اعتقد المُتَبَرِّكُ استقلالَ المُتَبَرِّكِ به بالتأثير، كما يفعله

القُبُورِيُّونَ حينَ يَتَمَسَّحُونَ بقبور الأولياءِ ويعتقدون أَنَّ الوليَّ يستقلُّ بإعطاء البركة.

ويكون شَرْكاً أصغر: إذا اتَّخَذَ لِلتَّبَرُّكِ سبباً لم يثبت كونه سبباً، كَمَنْ يَتَبَرَّكُ بسواري

المسجد وأبوابه، ويعتقد أَنَّ البركةَ مِنَ الله وَأَنَّ هذه السَّواري سببٌ للبركة.



قال المصنف وفقه الله:

١١- وَجَازَتْ الْوَسِيلَةَ ٣٦ بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ

١٢- وَوَصَفِهِ وَالْأُسْمَاءَ ٣٧ ثُمَّ دَعَاءِ الْأَخْيَارِ



قال الشارح وفقه الله:

(الوسيلة) هنا: ما يتوصل به المسلم إلى الله، كما قال **تعالى**: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]: أي القربة إليه **تعالى** بطاعته.

و(التوسل) بالمعنى العام: التَّقَرُّبُ إلى الله **تعالى** بالطَّاعَةِ، فيشمل ذلك: كل طاعة.

وهو بالمعنى الخاص: أن يقرن الدَّاعي بدعائه ما يكون سبباً في قبول دعائه، وهو

قسمان: توسُّل مشروع، وتوسُّل ممنوع.

وقد بين **وفقه الله** في النظم ثلاثة أنواع للتوسل المشروع:

الأوَّل: التَّوسُّل بالعمل الصَّالح، وهو الَّذي قال فيه: (بِالطَّاعَةِ الْجَلِيلَةِ):

ومنه: ما في قوله **تعالى**: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنًا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾

[المؤمنون: ١٠٩]، توسَّلوا إلى الله **تعالى** بإيمانهم أن يغفر لهم ويرحمهم.

ومنه: ما في «الصَّحيحين» من قصَّة الثلاثة أصحاب الغار، الَّذِينَ خَرَجُوا يَمْشُونَ

فَأَصَابَهُمَ الْمَطَرُ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:

(إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ)، فتوسَّل الأوَّل منهم

إلى الله **تعالى** ببرِّه لوالديه، وتوسَّل الثاني إلى الله **تعالى** بترَّكه الفاحشة، وتوسَّل الثالث إلى

الله **تعالى** بإعطائه الأجير أجره كاملاً بعد تنميته له.

وقال كل واحدٍ منهم في آخر دعائه: (اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجْهَكَ فَافْرَجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ)، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون.

والقصة بطولها في «الصحيحين»^(١).

ومن ذلك: أن يقول الداعي: (اللَّهُمَّ بِإِيمَانِي بِكَ وَتَصَدِيقِي بِرَسُولِكَ وَاتِّبَاعِي لَهُ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي) أو (اشفِ مريضِي) أو (ارزقني كذا).

النوع الثاني: التوسل إلى الله تَعَالَى بأسمائه وصفاته، وهو الذي قال فيه: (وَصِفِهِ وَالْأَسْمَاءَ)، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وشواهد في سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرة جدًا.

من ذلك: ما أخرجه أصحاب «السنن»: عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَصَلِّي ثُمَّ دَعَا: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ الْمَنَانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ)، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

ومن ذلك: أن تقول: (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي)، و(يا رحيم، ارحمني)، و(إني أسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلا: كذا).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٢١٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٢٠٥)، وأبو داود في «السنن» (١٤٩٥)، والترمذي في «الجامع»

(٣٥٤٤)، والنسائي في «المجتبى» (١٣٠٠)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٥٨)، وصححه

الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٣٣ / ٥).

النوع الثالث: التَّوَسُّلُ إلى الله تَعَالَى بدعاء الصَّالحين، بأن يُطلب من مسلم حيٍّ أن يدعو له. وهو الذي قال فيه: (ثُمَّ دُعَاءِ الْأَحْيَاءِ).

ومنه: قول إخوة يوسف: ﴿يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩٧]، فطلبوا من أبيهم نبيِّ الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يستغفر لهم.

ومنه: قول الأعرابيِّ: (يا رسول الله، هلكت المواشي وانقطعت السُّبُل، فادعُ الله يُغننا) فرفع النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يديه يدعو، متفقٌ عليه (١).

ومنه: طلب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته من العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يستسقي لهم أي أن يدعو الله أن يغيثهم بالمطر، أخرج ابن حبان عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه قال: (كانوا إذا قَحَطُوا على عهد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استسقوا بالنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيستسقي لهم فيُسَقَوْنَ، فلمَّا كان بعد وفاة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إمارة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَحَطُوا، فخرج عمر بالعباس يستسقي به، فقال: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا قَحَطْنَا على عهد نبيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستسقينا به فُسِقْنَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ اليومَ بعمِّ نبيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاسْقِنَا) قال: (فَسُقُوا) (٢).

ومن التَّوَسُّلِ المشروع غير ما ذَكَر في النِّظْم: تَوَسُّلُ الدَّاعِي بِذِكْرِ حاله، وأنه محتاجٌ إلى ربِّه، كما في دعاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٠١٣)، ومسلم في «الصحيح» (٨٩٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٢٨٦١)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٣٩/٣)، وأصله

في «صحيح البخاري» (١٠١٠).

[القصص: ٢٤] أي إني مفتقر إلى الخير الذي تسوقه إليّ وتيسره لي، فتوسّل إلى ربّه باحتياجه أن يُنزل عليه خيراً.

وفي دعاء يونس عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ويُقابله: التّوسّل الممنوع غير المشروع، كالتّوسّل بذوات الأنبياء والصّالحين، أو بجاه أحدٍ منهم أو حقّه أو بالكعبة.

وذلك أن الدّعاء عبادة، بل هو من أجلّ العبادات، وقد قال النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدّعاء هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، والعبادات مبناها على التّوقيف، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢) أي مردودٌ باطلٌ غير مُعتدٍّ به، وهو ذريعة إلى الاستغاثة الشّركيّة، تفضي إليها على مرّ الأيام كما يشهد له الواقع، وسدّ ذرائع الشّرك والمُحرّمات من مقاصد الشّريعة.



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٥٢)، وأبو داود في «السنن» (١٤٧٩)، والترمذي في «الجامع» (٢٩٦٩)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٢٨)، وصحح الألباني إسناده في «صحيح سنن أبي داود» (٢١٩ / ٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٦٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (١٧١٨).

قال المصنف وفق الله:

تعلق القلب بغير الله:

١٣- وَلَا تَسَلْ مَقْبُورًا ٣٨ أَوْ عِنْدَ الْغَفُورَا



قال الشارح وفق الله:

(وَلَا تَسَلْ مَقْبُورًا): دعاء المقبور وسؤاله قضاء الحاجات وكشف الكربات شرك

عيادًا بالله، كما سبق للنظام في توحيد الألوهية بعد أن ذكر عبادات منها: الدعاء، قال:

٧- وَصَرَفُهَا لِغَيْرِهِ ١٧ شِرْكُكَ، خِلَافُ أَمْرِهِ

وقد قال النبي ﷺ - كما في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أبي

داود -: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، وَمَنْ صَرَفَ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ.

وأكثر شرك المتقدمين والمتأخرين: هو في دعاء غير الله، وقد سمّاه الله شركًا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا

يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ *﴾ [فاطر: ١٣،

١٤]. وهو أصل شرك العالم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «مدارج السالكين»: (من أنواعه

-يعني الشرك -: طَلَبُ الحوائج مِنَ الموتى، والاستغاثة بهم، والتَّوَجُّهُ إِلَيْهِمْ، وهذا

أصل شرك العالم)^(٢).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٣٥٢)، وأبو داود في «السنن» (١٤٧٩)، والترمذي في «الجامع»

(٢٩٦٩)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٢٨)، وصحح الألباني إسناده في «صحيح سنن أبي داود»

(٥ / ٢١٩).

(٢) «مدارج السالكين» (١ / ٣٥٣).

والأدلة متضافرة على الأمر بدعاء الله وحده، وعلى النهي عن دعاء غيره.

قال **تعالى**: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال **تعالى**: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ *

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ *﴾ [يونس: ١٠٦، ١٠٧].

وقال **تعالى**: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾

[الأحقاف: ٥].

قال الشيخ حافظ الحكمي **رحمه الله** في «سلم الوصول»^(١):

وإن دعا المقبور نفسه فقد أشرك بالله العظيم وجحد

لن يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً فيغفوه عنه

إذ كل ذنب موشك الغفران إلا اتخذ النذر للرحمن

قال الله **تعالى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال **تعالى**: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ

مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ثم قال: (أو عنده الغفورا): أي لا تسأل عند المقبور الله الغفور **سبحانه وتعالى**.

وهذا قد يفعله بعض الناس، يتقصّد دعاء الله عند قبور الصالحين، ظاناً أنها أفضل أو

أسرع استجابة!

(١) «سلم الوصول» الأبيات (١٣٥-١٣٧).

وَتَقْصِدُ عِبَادَةَ اللَّهِ وَتَحَرِّيَ دَعَائِهِ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ صُورَةً عَظُمَتْ بِهَا الْفِتْنَةُ مِنَ
صُورِ الْغُلُوِّ فِي الصَّالِحِينَ، وَهِيَ ذَرِيعَةٌ تُفْضِي إِلَى عِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.
وَسَبَبُ الشِّرْكِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ قَوْمُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هُوَ غُلُوُّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ، حَتَّى آلَ
الْأَمْرِ إِلَى عِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ!
فَهَذَا خِلَافُ الْمَشْرُوعِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ فِعْلِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَلَا قَالَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ،
فَهُوَ مِنَ الْبِدْعِ الْمُحَدَّثَةِ.
بَلْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: (قَبْرِ فُلَانٍ تَرِيقًا مُجَرَّبًا)! فَظَنُّ أَنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ قَبْرِ فُلَانٍ مِنَ
الصَّالِحِينَ مُسْتَجَابٌ! فَيَقْصِدُ زِيَارَتَهُ لَطَلِبِ الْحَوَائِجِ مِنَ اللَّهِ عِنْدَهُ: هُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ
الْمُبْتَدَعَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ (١).



(١) ينظر: «الاستغاثة في الرد على البكري» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١١٤).

قال المصنف وفقه الله:

١٤- وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَ ٣٩ وَالسَّحَرَ وَالشَّأْأُمَا



قال الشارح وفقه الله:

قال: (وَاجْتَنِبِ التَّمَائِمَ):

التَّمَائِم: جَمْع (تميمة).

و(التميمة): خرزات كان العرب يُعلّقونها على أولادهم يَتَّقون بها العين.

وكل ما علّق بقصد دفع البلاء قبل نزوله -أي بقصد ألا يُصاب بسحر أو عينٍ مثلاً-،
أو بقصد رفعه بعد نزوله -أي لتكون سبباً لإزالة سحرٍ موجود أو عينٍ أو مسٍّ أو
مرضٍ -: فهو تميمة.

فكل ما علّق بقصد دفع البلاء أو رفعه فهو تميمة، كانت من خرز أو خيط أو ورق أو
غير ذلك.

وسواء علّقها على نفسه، أو علّقها على غيره من الصّبيان، أو من البهائم، أو على
الدّوابّ والسيّارات، أو على أبواب البيوت.

وقد كانوا في الجاهليّة يُعلّقون السُّيُور والتَّمائم على رقاب البهائم، ومرادهم -كما
يزعمون -: أن ذلك يكسر العين ويردّها!

وأما اليوم: فبعضهم يُعلّق صورة كفّ، وبعضهم يُعلّق صورة نعلٍ صغيرة، وبعضهم
يُعلّق جلود الحيوانات من تماسيح وغيرها!

فصوّر هذا النوع من الشُّرك لا تنتهي، ويجمعها: أن يُلبس شيء أو يُعلّق ويُتوهم أنّه
سبب لدفع البلاء أو رفعه، وهو من الشُّرك الأصغر.

وَمُوجِب كونه شركًا أصغر: اعتقاد السَّبَبِيَّة فيما ليس سببًا شرعيًّا ولا قَدَرِيًّا.
والقاعدة عند العلماء: أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ سَبَبًا لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ سَبَبًا شَرْعًا وَلَا قَدَرًا فَقَدْ أَشْرَكَ
الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ.

وفي «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد»: عن عقبة بن عامر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
رَأَى رَجُلًا قَدْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا وَقَالَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ» ^(١).
وأخرج أحمد في «المُسْنَد» مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ» ^(٢)، دعا عليه النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
بِأَلَّا يَتَمَّ لَهُ أَمْرُهُ.

وهذا هو الواقع، فَإِنَّ مَنْ يُعَلِّقُونَ هَذِهِ التَّمَائِمَ قَدْ أَصَابَتْهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ، فَهُمْ أَكْثَرُ
النَّاسِ خَوْفًا وَقَلَقًا وَاضْطِرَابًا، بخلاف المتوَكِّل على الله المعتمد عليه، فهو مُشْرِح
الصَّدْر، لَأَنَّهُ أَوَى إِلَى رَكْنٍ شَدِيدٍ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ قَلْبُهُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ**.
وأخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**
قَالَ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَّةَ شِرْكٌ» ^(٣).

(١) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (١٧٤٢٢)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٩٢)
(١/ ٨٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (١٧٤٠٤)، وحسنه محققو المُسْنَد.

(٣) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (٣٦١٥)، وأبو داود في «السنن» (٣٨٨٣)، وابن ماجه في «السنن»
(٣٥٣٠)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣٣١) (١/ ٦٤٨).

و(التَّمَائِم) في الحديث محمولةٌ على التَّمَائِمِ المشتملة على الشُّرك، كَمَنْ تَعَلَّقَ حَلْقَةً
أو خيطًا أو خَرَزًا لدَفْعِ بلاءٍ أو رَفْعِهِ، وهو كما سبق مِنَ الشُّركِ الأصغر.
لكن إذا اعتقد أنها تنفع على وجه الاستقلال: فهذا مِنَ الأكبر.
وَأَمَّا إذا كانت مِنَ القرآن أو مِنَ الأدعيةِ النَّبَوِيَّةِ: فهي محلُّ خلاف.
قال الشَّيْخُ حافظ الحَكَمِيِّ في «سُلَّم الوصول»^(١):

وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ إِنَّ تِلْكَ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ
فَالَاخْتِلَافُ وَقَعَ بَيْنَ السَّلَفِ فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَبَعْضُ كَفَ
فَمِنْ حُجَّةٍ مَنْ أَجَازَهَا: حَدِيثُ «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ^(٢).

قالوا: وهذا قد تَعَلَّقَ آيَاتٍ مِنَ القرآن، وقد ورد ذلك عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَرُوي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولم يثبت عنه.
وكثِيرٌ مِمَّنْ أَجَازَهَا أَجَازَهَا بَعْدَ نَزُولِ الْبَلَاءِ لَاقِبِهِ.
وَرَجَّحَ الْمَانِعُونَ مَذْهَبَهُم بِالْعُمُومَاتِ، كَحَدِيثِ «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ»^(٣)،
وَبَسَدُ الذَّرَائِعِ، لِأَنَّهُ قَدْ يَسْتَعِلُّ هَذَا أَصْحَابُ الْخِرَافَاتِ، بَلْ قَدْ اسْتَعْلَوْهُ، فَصَارُوا يَضْعُونَ
شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ وَيَخْلُطُونَهُ بغيره مِنَ الْأَلْفَاظِ الشَّرَكِيَّةِ وَيَقْطَعُونَهُ أَحْرَفًا.

(١) «سُلَّم الوصول» البيتان (١٢٠-١٢١).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ» (٢٠٧٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْمَجْتَبَى» (٤٠٧٩)، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي
«غَايَةِ الْمَرَامِ» (٢٩٧).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (١٧٤٠٤)، وَحَسَنَهُ مُحَقِّقُو الْمُسْنَدِ.

فَمِنْ أَوْجِهِ الْمَنْعِ: سَدُّ هَذَا الْبَابِ.

ثُمَّ قَدْ يَدْخُلُ بِالْقُرْآنِ بَعْضُ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يُنَزَّهَ عَنْهَا الْقُرْآنُ، خَاصَّةً إِذَا عُلقَ عَلَى الْأَطْفَالِ.

وَقَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: (كَانُوا - يَعْنِي أَصْحَابَ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ)، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١).

ثُمَّ قَالَ: (وَالسَّحَرُ): أَيِ (وَاجْتَنِبِ السَّحَرَ).

السَّحَرُ: عَقْدٌ وَرُقَى يُنْفَثُ فِيهَا مَعَ الْإِسْتِعَانَةِ بِالشَّيَاطِينِ، فَتَوَثَّرَ فِي الْمَسْحُورِ، وَمِنْهُ: مَا يُمْرِضُ، وَمِنْهُ: مَا يَقْتُلُ، لَكِنَّهُ لَا يُوَثِّرُ بِذَاتِهِ بَلْ بِقِضَاءِ اللَّهِ وَإِذْنِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ» (٢).

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَحَرَ»: أَيِ بَاشَرَ السَّحَرَ بِنَفْسِهِ.

«أَوْ سُحِرَ لَهُ»: أَيِ أَمَرَ مَنْ يَسَحَرُ لَهُ.

وَهَذَا يَقَعُ مِنْ بَعْضِ مَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ، إِذَا أَرَادَ مُضَارَّةَ أَحَدٍ بِذَلِّ مَا لَا لِلْسَّاحِرِ وَطَلَبَ مِنْهُ مُضَارَّتَهُ!

فَالْوَاجِبُ: التَّحْذِيرُ مِنَ السَّحَرَةِ وَمِنْ إِيْتَانِهِمْ.

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٢٣٤٦٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٣٥٧٨)، وَهُوَ فِي «سَلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» (٢١٩٥).

وَكُفِّرَ السَّاحِرُ يُؤْخَذُ مِنْ مَوَاضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

الموضع الأول: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فقد زعموا أنه ثبت ملكه بالسحر، فقال **تَعَالَى**: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي بتعاطي السحر، فدلّ على أن تعاطي السحر كفر.

الموضع الثاني: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد قال أهل الأصول: (إن تعقيب الحكم بوصفٍ مُشعرٍ بالعلية)، فالوصف المذكور (وهو تعليم السحر) هو علّة الحكم بالكفر، وهو المُسمّى في علم الأصول بـ(دلالة الإيماء والتنبية) وهي (اقتران الوصف بحكم على وجه بحيث لو لم يكن الوصف علّة للحكم لكان الكلام معيباً).

الموضع الثالث: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يحذران من أراد تعلّم السحر بأنّ تعلّم السحر كفر. وقد قال ابن جرّيج فيما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: (لا يجترئ على السحر إلّا كافر) ^(١).

الموضع الرابع: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، المعنى: لقد علم اليهود أن من استبدل السحر بكتاب الله **تَعَالَى** ما له في الآخرة من نصيبٍ من خير، وهذا الوعيد لم يُطلق إلّا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه، فالذي لا نصيب له من الخير في الآخرة هو الكافر، لأن المؤمن يدخل الجنة، وكفى بدخوله الجنة خلافاً ونصيياً من الخير.

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (٢/ ٣٥٦).

الموضع الخامس: في الآية التي بعدها في قوله **تَعَالَى**: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

(لو): حرف امتناع، يفيد الجزم بعدم وقوع ما بعده، فهذا نفْيٌ لإيمانهم. فهذه خمسة أدلة تدلُّ على كُفر السَّاحِرِ مِنْ آيَةِ ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ [البقرة: ١٠٢] والآية التي بعدها (١).

ثم قال: (والتَّشَاؤْمُ): أي (واجتنب التشاؤم): وهو عَدُّ الشَّيْءِ مشؤوماً، أي أن وجوده يكون سبباً في حصول ما يحزن ويضر.

في «الصَّحِيحِينَ»: عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ» قالوا: (وما الفأل؟) قال: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» (٢). «لا طَيْرَةَ»: هذا نفْيٌ لتأثير الطيرة.

وأصل ذلك: أن أهل الجاهليَّة كانوا أهل وَلَعٍ بالتَّشَاؤْمِ، وكانوا يتشاءمون بأشياء كثيرة، مِنْ أَكْثَرِهَا: الطَّيْرُ، فإذا مرَّ غرابٌ - مثلاً - قالوا: (ستحصل عُقْبَةٌ)، أو مرَّ عُقَابٌ قالوا: (ستحصل عقوبة)! وإذا أراد أحدٌ سفراً أو عملاً زَجَرَ الطَّيْرَ، فإذا ذهبت يميناً تفاءل، وإذا ذهبت شمالاً تشاءم!

ثم إنه توسَّع مدلول التَّطَيُّرِ حتَّى صار في الاصطلاح أعمَّ مِنْ ذلك، فصار يشمل التَّشَاؤْمَ، سواء أكان بشيءٍ رآه أو سَمِعَهُ:

(١) ينظر: «معارج القبول» (٢/ ٥٤٩ - ٥٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٧٧٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٢٤).

- فالتَّشَاؤُمُ بِالْمَرِيٍّ: كَمَنْ خَرَجَ يَرِيدُ سَفَرًا فَقَابِلَ أَعُورٍ أَوْ أَعْرَجٍ أَوْ رَأَى حَادِثَ سَيَّارَةٍ فَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ أَنَّ هَذِهِ السَّفَرَةَ مَشْؤُومَةٌ فَتَرَكَ السَّفَرَ، أَوْ فَتَحَ دُكَّانَهُ صَبَاحًا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ عَلَيْهِ لِيَشْتَرِيَ مِنْهُ أَعُورٌ فَاعْتَقَدَ أَنَّ الْيَوْمَ يَوْمٌ بَلَاءٍ وَخَسَارَةٍ فِي التَّجَارَةِ!

- والتَّشَاؤُمُ بِالْمَسْمُوعِ: كَمَنْ خَرَجَ يَرِيدُ سَفَرًا فَسَمِعَ نَعِيقَ بَوْمٍ، أَوْ صِيَاحَ غُرَابٍ، أَوْ قَائِلًا يَقُولُ لآخر: (يا خائب) أَوْ يَقُولُ: (يا خاسر)، فَعَدَلَ عَنِ السَّفَرِ!
وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ: مَا حَصَلَ لِحَاحِدٍ لَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ وَأُتِيَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ، وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ رَأَى حَمَامَتَيْنِ تَتَجَاوَبَانِ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانٍ -الْغَرْبُ: ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ، وَالبَّانُ: ضَرْبٌ آخَرُ مِنَ الشَّجَرِ-، فَقَالَ:

وَمِمَّا هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ
تَجَاوَبَتَا بِلَحْنٍ أَعْجَمِيٍّ عَلَى غُصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ
فَكَانَ الْبَّانُ: أَنْ بَانَتْ سُلَيْمَى وَفِي الْغَرْبِ: اغْتَرَابٌ غَيْرُ دَانِي

فتشاءم بهذين الاسمين، وهو كثيرٌ في أشعارهم.
والطَّيْرَةُ مِنَ الشَّرِّكَ الْأَصْغَرِ، لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ اتِّخَاذَ سَبَبٍ لَمْ يَثْبِتْ كَوْنَهُ سَبَبًا، وَقَدْ نَفَاهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَلَا طَيْرَةَ»، فَدَلَّ عَلَى بُطْلَانِهَا وَعَدَمِ تَأْثِيرِهَا، فَهِيَ تَوَهُّمٌ لَيْسَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ تَأْثِيرٌ.

فلا يجوز أن يُعَلَّقَ الْإِنْسَانُ أَفْعَالَهُ بِأُمُورٍ مَوْهُومَةٍ يَتَشَاءَمُ بِهَا، فَالشَّرِيعَةُ جَاءَتْ لِتُرَبِّيَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ يَقِيمُوا تَصَرُّفَاتِهِمْ وَأَعْمَالَهُمْ عَلَى الْبَيِّنَةِ، وَالْأَلَّا تَتَلَاعَبَ بِهِمُ الظُّنُونُ وَالْأَوْهَامُ فَتَتَعَطَّلَ مَصَالِحُهُمْ.

قال: «وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ» قالوا: (وما الفأل؟) قال: «كَلِمَةُ طَيِّبَةٌ».

الفأل يَسُرُّ ويُفَرِّح، وقد فَسَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بـ (الكلمة الطَّيِّبَةُ)، كأنَّ يَسْمَعُ مَنْ
شَرَعَ فِي سَفَرِهِ مَنْ يَنَادِي: (يا رَاشِد) فَيَسْتَبْشِرُ وَيَزِيدُهُ ذَلِكَ نَشَاطًا وَإِقْدَامًا فِي سَفَرِهِ، أَوْ
يَسْمَعُ الْمَرِيضُ مَنْ يَنَادِي: (يا سَالِم) فَيَبْتَهِجُ وَيَتَفَاءَل، أَوْ يَكُونُ لَهُ ضَائِعٌ فَيَسْمَعُ: (يا
وَاجِد) فَيَتَفَاءَل بِذَلِكَ.



قال المصنف وفقه الله:

١٥- وَلَا تَصَدَّقْ بُرْجًا ٤٠ وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا



قال الشارح وفقه الله:

١٥- وَلَا تَصَدَّقْ بُرْجًا ٤٠ وَكَاهِنًا مُعَوَّجًا

فقد ورد الوعيد الشديد في ذلك، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كما عند أبي داود وابن ماجه -: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»^(١)، فيه: كُفْرٌ مَنْ صَدَّقَ كَاهِنًا.

وعليه: فالكاهن المُدَّعي معرفة الغيب أولى بهذا الحكم.
وهذا الحكم - وهو كُفْرٌ مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ - اختلف فيه العلماء: هل هو كُفْرٌ أكبر أو أصغر؟

ويدلُّ لكونه أصغر: أمران:

أحدهما: حديث «مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد»، قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»^(٢)، لو كان كُفْرًا أكبر لم تُقْبَلْ صلاته أبدًا.

والآخر: وجود الشبهة، وهي أنه لا يقول: (إِنَّ هَذَا الْكَاهِنَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بَعْلَمَهُ)، بل يقول: (إِنَّهُ يُصَدِّقُهُ فِي ذَلِكَ الْغَيْبِ الَّذِي أَخْبَرْتَهُ بِهِ الْجِنَّ مِمَّا سَمِعْتَهُ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٩٠٤)، وابن ماجه في «السنن» (٦٣٩)، وصححه الألباني في

«إرواء الغليل» (٢٠٠٦) (٧/ ٦٨).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٦٣٨)، وصحح إسناده محققوه.

الملائكة)، فخرَج عن كونه من الغيب الَّذي استأثر الله بعلمه، وهذه الشُّبهة تدرأ عنه الكفر الأكبر.

ولا شكَّ أَنَّهُ على خطرٍ جسيم، فإنَّ قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّنْ صَدَّقَ كَاهِنًا: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» لا شكَّ أَنَّهُ وعيدٌ عظيم.

وقد قرَّر أهل العلم أنَّ إتيان الكُهان والعَرَّافين على حالات:

الحال الأولى: أنَّ يسألهم فقط، فهذا لا تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا، كما في «صحيح مسلم»: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(١)، وفي «صحيح مسلم» أيضًا: أنَّ معاوية بن الحَكَم السُّلَميَّ قال للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وإنَّ منَّا رجالًا يأتون الكُهان) قال: «فَلَا تَأْتِهِمْ»^(٢).

الحال الثانية: أنَّ يسألهم ويُصدِّقهم، فهذا قال عنه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٣)، وسَبَقَ بَحْثُ نوع الكُفر: هل هو أكبر أو أصغر.

الحال الثالثة: أنَّ يأتيهم العالمُ للإِنكار عليهم وكَشْف باطلهم، فهذا مشروع، لكنَّه للعالم لا لغيره، ويشهد له: ما في «الصَّحيحين» أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انطلق في رَهْطٍ قَبْل ابن صَيَّاد، وفيه: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» قال ابن صَيَّاد: (هو الدُّخ) فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٩٠٤)، وابن ماجه في «السنن» (٦٣٩)، وصححه الألباني في

«إرواء الغليل» (٢٠٠٦) (٦٨ / ٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٠٥٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٣٠).

وفي حُكم إتيانهم:

- مطالعة قنوات السحر والشعوذة، التي يلبسها أصحابها ثوب الدين! ويغرُّون السُّدَجَ بفكِّ السحر وجلب الحبيب! فهذه القنوات لا تجوز مشاهدتها، ولو قال: (أنا أشاهد هذه القنوات للتفرُّج فقط، ولا أصدِّقهم)، فهذا لا يحلُّ، وهو في حُكم إتيان الكاهن والعرَّاف: «لَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، فإن صدَّقهم انتقل إلى الحال الثانية التي قال فيها النبي ﷺ: «فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

- وكذلك ما يوجد في بعض المجلات والصفحات والمواقع مما يُسمَّى بـ(الأبراج)، وأنَّ مَنْ وُلِدَ في بُرج كذا فهذا الشَّهْرُ له شَهْرُ رِزْقٍ، وسيحصل له في هذا العام كذا، رجماً بالغيب! لذا قال: (وَلَا تُصَدِّقْ بُرْجًا)، فلا تجوز مُطالعتها فضلاً عن اعتقاد صحتِّها.

فدين الإسلام قائمٌ على البَيِّنَةِ لا على الظُّنون والأوهام، ولا مجال فيه لمُغرِضٍ أن يفسد عقول النَّاسِ وقلوبهم، وأن يسلب أموالهم بادِّعاء الغيب.

وقد قال النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ»^(١):

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَكْهَنَ»: أي استشرف الغيب بنفسه.

«أَوْ تُكْهَنَ لَهُ»: أي طلب من يستشرف له الغيب.

وادِّعاء علم الغيب:

* قد يكون ممَّن يُخبر عن المُغَيَّبات بالأخذ من مُسترقي السَّمع، وهذا الكاهن.

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٣٥٧٨)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢١٩٥)

* وقد يكون ممّن يستدلّ بأمور ظاهرية غير حقيقية على الأمور الغائبة - من مسروق، ومكان ضالّة، ونحو ذلك - وهذا العرّاف.

* وقد يكون ممّن ينظر في النجوم باعتبار تأثيرها في الحوادث الكونيّة، وهذا المنجّم.

* وقد يكون بالخطّ في الرّمْل، وهذا الرّمّال.

* ومثله: الضّرب بالحصى.

وقد يُطلق اسم (الكاهن) على جميع هؤلاء.

ويجمع ذلك كلّ: ادّعاء علم الغيب، وصوّره أكثر من ذلك، فمنه: ما يكون بقراءة الكفّ، وقراءة الفنجان، وما يُسمّى بـ(الأبراج) كما سبق.

فكلّ من ادّعى علماً من الغيب واستعمل في ذلك وسيلة ظاهرة ليُوهم بها النّاس: فهو داخل في الوعيد نسأل الله العافية.



١٩- اللَّهُ دُونَ شِرْكَ ۚ ٤٤ حَقًّا بَعِثَ رَسُوكَ



وقد بين ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ ظَنِّ السَّوِّءِ وَظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ تَكُونُ بِمَعْرِفَةِ اللهِ **تَعَالَى** بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، قَالَ **رَحِمَهُ اللهُ**: (وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنًّا سَوِيًّا فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ فِيمَا يَفْعَلُهُ بغيرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ، وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ

وصفاته، وعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ ^(١)، إلى أَنْ قَالَ: (ولو فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعْتَبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ واقترًا حًا عَلَيْهِ خلاف ما جرى به وأنه كان ينبغي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِيلٌ وَمُسْتَكْثَرٌ، وَفَتَّشَ نَفْسَكَ: هل أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ؟

فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّيْبَ النَّاصِحَ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنًّا سَوِيًّا ^(٢) انتهى كلامه.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنَّهُ بِرَبِّهِ فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ، لِأَنَّهُ لَا يُوفَّقُ لِحُسْنِ الظَّنِّ إِلَّا مَنْ أَحْسَنَ الْعَمَلَ، فَالْمُؤْمِنُ يَجْمَعُ بَيْنَ إِحْسَانِ الْعَمَلِ وَإِحْسَانِ الظَّنِّ، وَلَا يَجْتَمِعُ إِحْسَانُ الظَّنِّ مَعَ إِسَاءَةِ الْعَمَلِ أَبَدًا.

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعَامِلُ عَبْدَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَظُنُّهُ الْعَبْدُ بِاللَّهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ خَيْرًا فَلَهُ الْخَيْرُ، وَمَنْ ظَنَّ بِهِ شَرًّا فَلَهُ مَا ظَنَّ، وَفِي «الصَّحِيحِينَ»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» ^(٣).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ مَوْثِقًا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَا يُحْسِنُ عَبْدٌ بِاللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الظَّنَّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ظَنَّهُ، ذَلِكَ أَنَّ الْخَيْرَ فِي يَدِهِ) ^(٤). قَالَ الشَّاعِرُ:

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم (٣/ ٢٦٧).

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم (٣/ ٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٠٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٧٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (ص ٩٦).

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا
أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ
وقال آخر:

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ كُلَّ إِحْسَانٍ وَسَوَّى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ
وَكُنْ أَيْضًا جَمِيلَ (التَّمَنِّي) عَظِيمِهِ، وقد قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (إذا تمنى أحدكم
فليكثر، فإنما يسأل ربه عَزَّ وَجَلَّ)، ورؤي مرفوعاً ^(١).

ثم قال في الأبيات بعده وهي بمثابة التعليل لكل ما سبق:

- ١٧- فَعَالِمُ الْغَيْبِ ۖ وَغَاْفِرُ الذُّنُوبِ ٤٢
١٨- وَكَاشِفُ الْكُرُوبِ ٤٣ وَشَاهِدُ الْقُلُوبِ
١٩- اللَّهُ دُونَ شِرْكَ ٤٤ حَقًّا بَغَيْرِ شَرِّكَ



(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٦٩) موقوفاً على عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٢٠٤٠)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (١٢٦٦) (٣/ ٢٦٣).

قال المصنف وفقه الله:

مراتب الدين

المرتبة الأولى: الإسلام: أركانه:

١- إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَعَادَةٌ ٤٥ أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ



قال الشارح وفقه الله:

هذا بابٌ عظيم، ذكر فيه مراتب الدين الثلاث، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

وقد جاء بيانها في حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول حديث في «صحيح مسلم»^(١).

وهو حديثٌ عظيم، اشتمل على شرح الدين كله، قال القرطبي: (يصلح هذا الحديث أن يُقال فيه: إنه "أُمُّ السُّنَّة")^(٢)، وقد عَقَدَ الناظم معناه في هذا الباب.

ف(الإسلام): هو مرتبة الأعمال الظاهرة.

و(الإيمان): هو مرتبة الأعمال الباطنة.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١) (٨).

(٢) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (١/ ١٥٢)، وقد أفردته الشيخ العلامة

عبدالمحسن العباد - حفظه الله - بشرح في كتاب مستقل سمّاه: «شرح حديث جبريل في تعليم

الدين».

و(الإحسان): هو مرتبة إتقانهما: إتقان الأعمال الظاهرة والباطنة، وهو أعلى الدرجات.

ويوضح بعض أهل العلم هذا بوضع ثلاث دوائر: دائرة واسعة داخلها دائرة أضيق منها، داخل هذه الدائرة دائرة أضيق منها:

فالدائرة الصغرى: هي الإحسان، والأوسع منها: هي الإيمان، والدائرة الأوسع: هي الإسلام.



فيحتاج العبد إلى أن يُحقّق الإسلام والإيمان حتّى يصل إلى درجة الإحسان.
فإن خَرَجَ مِنَ الإحسان: لم يخرج إلى الكُفر، وإنّما يخرج منه إلى مرتبة الإيمان.
فإن خَرَجَ مِنَ الإيمان: كان في مرتبةٍ دونه، هي مرتبة الإسلام.
فإن خَرَجَ مِنَ دائرة الإسلام: فما ثمَّ إلّا الكفر.
فعلى هذا: كلُّ محسنٍ مؤمنٌ مسلمٌ، وكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مؤمنٍ مُحسنًا،
وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا.

وسيّأتي أن لفظ الإسلام والإيمان قد يستعملان بمعنى واحد، وهو الدين.
فهذه الثلاث هي مراتب الدين، وقد قال النبي ﷺ في حديث جبريل

المشهور بعد أن بيّن هذه المراتب الثلاث: «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» (١).

(إِسْلَامُنَا السَّعَادَةُ): السَّعَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي رَضِيَهِ رَبُّنَا لَنَا دِينًا، فَهُوَ الَّذِي يُورِثُ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا، فَيَعِيشُ الْمُتَحَقِّقُ بِالْإِسْلَامِ فِي حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ، قَرِيرَ الْعَيْنِ، فَرِحًا مَسْرورًا سَعِيدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وهو الَّذِي يُورِثُ السَّعَادَةَ فِي الْآخِرَةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، أخرجه البخاري (٢).

وقال تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير مقطوع، فهُمْ فِي نَعِيمٍ كَامِلٍ، وَسَعَادَةٍ دَائِمَةٍ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَالْإِسْلَامُ خَمْسَةُ أَرْكَانٍ، بَيَّنَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ حِينَ سَأَلَهُ عَنِ (الْإِسْلَامِ) فَقَالَ: (يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ) فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (٣).

قال: (أَوَّلُهُ الشَّهَادَةُ): أي شهادة (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ).
ثُمَّ بَيَّنَّ مَعْنَى شَهَادَةِ (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (١) (٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح» (٩٩).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحیح» (١) (٨).

قال المصنف وفق الله:

معنى (لا إله إلا الله):

٢- لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ ٤٦ بِـ الْحَقِّ إِلَّا اللَّهُ



قال الشارح وفق الله:

(لَا رَبَّ، لَا إِلَهَ): أي (لا رب ولا)، حَذَفَ العاطِف.

فمعنى شهادة (أن لا إله إلا الله): لا معبود بحق إلا الله تَعَالَى.

أَمَّا المعبودات بالباطل فكثيرة، فَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ

الْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَن يَعْبُدُ الْمَقْبُورِينَ، لَكِن لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ

اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ *

[الحج: ٦٢].

وهذه الكلمة العظيمة تشتمل على نفْي وإثبات:

- فقول: (لا إله): ينفي جميع ما يُعْبَد مِن دُونِ اللَّهِ.

- وقول: (إلا الله): يُثَبِّتُ العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه ليس له

شريك في مُلكه.

ثم يَبَيِّنُ معنى شهادة (أنَّ مُحَمَّدًا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).



قال المصنف وفق الله:

معنى (محمد رسول الله):

- ٣- أَعْبَدُهُ بِمَا شَرَعَ ٤٧ رَسُوْلُهُ وَمَا مَنَعَ
- ٤- أَتَرَكُوْهُ جَمِيْعًا ٤٨ مُصَدِّقًا مُطِيعًا



قال الشارح وفق الله:

معنى شهادة (أن محمدًا رسول الله):

- طاعته فيما أمر، والله **تعالى** أرسل الرُّسل ليطاعوا، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

- وتصديقه فيما أخبر، فأخباره صدق قطعًا، لأنَّه لا ينطق عن الهوى، فمن لم يُصدِّق الرُّسول لم يُحقِّق شهادة (أنَّ محمدًا رسول الله).

- واجتناب ما نهى عنه وزجر أي ترك ما نهى عنه النبي **صلى الله عليه وسلم**، ﴿وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ تُعْبِدُونَ﴾ [الحشر: ٧].

- وألَّا يُعبد الله إلَّا بما شرع على لسان رسوله **صلى الله عليه وسلم**.
- فالعبادة لا بدَّ أن تكون وفق هديهِ **صلى الله عليه وسلم**، فالأقوال والأعمال كلها تُوزَن بميزان هديهِ **صلى الله عليه وسلم**، فما وافق هديهِ فهو حق، وما خالفه فهو باطل.
- فالحاصل: أنَّ الشَّهادتين هما الرُّكن الأساس للإسلام، فلا تنفع هذه الأركان ولا غيرها من الأعمال إذا لم تكن مبنية على الشَّهادتين:
- شهادة (أن لا إله إلَّا الله)، التي تقتضي أن لا يُعبد إلَّا الله.

- وشهادة (أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ)، الَّتِي تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الْعِبَادَةُ وَفَقًا لِمَا جَاءَ بِهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذان الأصلان - وهما الإخلاص والمتابعة - لا بدَّ منهما لقبول أي عمل.

قال الشيخ حافظ الحكمي في «سُلم الوصول»^(١):

شَرَطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ مُوَافَقَ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ



(١) «سُلم الوصول» البيتان (٢٧٧-٢٧٨).

قال المصنف وفقه الله:

بقية أركان الإسلام:

- ٥- وَخَمَسْنَا نَصْلِي ٤٩ وَمَالَنَا نَزْكَي
٦- فِي رَمَضَانَ صَوْمُنَا ٥٠ لَبَيْتِ رَبِّي حَجَّنَا



قال الشارح وفقه الله:

(وَخَمَسْنَا نَصْلِي): الركن الثاني من أركان الإسلام: الصلوات الخمس، والصلاة عمود الدين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة.

(وَمَالَنَا نَزْكَي): الركن الثالث: إيتاء الزكاة، أي إعطاؤها مستحقّيها، و(الزكاة) قرينة

(الصلاة) في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

(فِي رَمَضَانَ صَوْمُنَا): الركن الرابع: صوم شهر رمضان، وهو الإمساك عن المفطرات تعبداً لله تعالى من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

(لَبَيْتِ رَبِّي حَجَّنَا): الركن الخامس: الحج، وهو قصد البيت لأداء مناسك الحج المعلومة، وهو واجب مرة واحدة في العمر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنَ الْمَعْلُومَةِ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ثم انتقل إلى المرتبة الثانية، وهي (الإيمان).



قال المصنف وفقه الله:

المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه:

٧- إِيْمَانُنْ بِالله ٥١ الْوَاحِدِ الْإِلَهِ

٨- وَبَعْدُ بِالْمَلَائِكَةِ ٥٢ وَكُتِبَ لَهُ الْمُبَارَكَةُ

٩- وَرُسُلِهِ وَالْقَدَرِ ٥٣ وَيَوْمِ الْمُنْهَى وَخَرِّ



قال الشارح وفقه الله:

هذه المرتبة الثانية: وهي الإيمان.

وقد بينها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور السابق حين سأله عن (الإيمان) فقال: (فأخبرني عن الإيمان)، قال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(١).

لاحظ أن النبي ﷺ فسر (الإسلام) بالأمور الظاهرة، و(الإيمان) بالأمور الباطنة.

و(الإسلام) و(الإيمان) من الألفاظ التي إذا اجتمعت افرقت، وإذا افرقت اجتمعت:

- أي إذا اجتمعت في السياق افرقت في المعنى، فإذا ذُكر (الإسلام) و(الإيمان) في سياق واحد كان لكل معناه.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١) (٨).

- وإذا افرقت في السَّيَاق اجتمعت في المعنى، فإذا ذُكِرَ كُلُّ عَلَى حِدَةٍ فَإِنَّهُمَا يجتمعان في المعنى.

مثل (الفقير والمسكين)، و(البرِّ والتقوى).

فقوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا﴾ [آل عمران: ٨٥]: (الإسلام) هنا يشمل الدِّينَ كُلَّهُ.

وفي قوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥]: (الإيمان) هنا يشمل الدِّينَ كُلَّهُ.

لكن إذا اجتمعا في السَّيَاق - كما في حديث جبريل المشهور -: فَإِنَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ في المعنى، فيُفَسَّرُ (الإسلام) بالأمور الظَّاهِرة، ويُفَسَّرُ (الإيمان) بالأمور الباطنة.

٧- إِيْمَانُنْ بِإِلَهِهِ ٥١ الْوَاحِدِ الْإِلَهِ

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الإِيمان بالله.

والإِيمان بالله يتضمَّن الإِيمان بأربعة أشياء:

- بوجوده.

- وربوبيَّته: أي بإفراده **تَعَالَى** بأفعاله، مِنَ الْخَلْقِ، وَالرَّزْقِ، وَالْمُلْكِ، وَالتَّدْبِيرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ معاني ربوبيَّته.

- وبألوهيَّته: أي بأفعال العباد، كالدُّعاء، والخوف، والرَّجاء، والتَّوَكُّلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أنواع العِبادة كُلِّهَا اللهُ **تَعَالَى**، لَا تُجْعَلُ لغيره.

- وبأسمائه وصفاته، بإثبات ما أثبتته لِنَفْسِهِ وأثبتته له رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كما يليق بجلاله وعظمته، مِنْ غَيْرِ تحريفٍ وَلَا تعطيلٍ وَمِنْ غَيْرِ تكييفٍ وَلَا تمثيلٍ، كما قال فيما سبق:

لَهُ صِفَاتُهُ الْعُلا ١٨ وَأَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى بِلا

تَحْرِيفٍ أَوْ تَعْطِيلٍ ١٩ تَكْيِيفٍ أَوْ تَمْثِيلٍ

(وَبَعْدُ بِالْمَلَائِكَةِ): الرُّكن الثاني: الإيمان بالملائكة.

(وَكُتِبَهِ الْمُبَارَكَةُ): الرُّكن الثالث: الإيمان بالكتب.

(وَرُسُلِهِ): الرُّكن الرابع: الإيمان بالرُّسل.

(وَالْقَدَرِ): الرُّكن الخامس: الإيمان بالقَدَر.

(وَيَوْمِهِ الْمُؤَخَّرِ): الرُّكن السادس: الإيمان باليوم الآخر.

ذكرها إجمالاً، ثم فصل القول فيها واحداً واحداً.



قال المصنف وفق الله:

الإيمان بالملائكة:

- ١٠- مَلَائِكُكَ مِنْ نُورٍ ٥٤ تَعْمَلُ بِالْمَأْمُورِ
 ١١- كَخَازِنِ الْجَنَانِ ٥٥ وَمَالِكِ النَّيِّرَانِ
 ١٢- مِيكَالَ إِسْرَافِيلَ ٥٦ وَخَيْرُهُمْ جِبْرِيلُ



قال الشارح وفق الله:

الرُّكن الثاني من أركان الإيمان: الإيمان بالملائكة، وهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، خُلِقُوا مِنْ نُورٍ، ذَوُو أجنحة، لا يعلم عددهم إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وكلُّهم مُتقادون لله تَعَالَى، لا يعصون الله ما أمَّروهم ويفعلون ما يُؤمَّرون، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ.

وقد سُمِّيَ منهم في الأدلة:

* جبريل، وهو الموكَّل بالوحي.

* وميكائيل، وهو الموكَّل بالقطر.

* وإسرافيل، وهو الموكَّل بالتفخ في الصور.

وهؤلاء الثلاثة (جبريل، وميكائيل، وإسرافيل) هم سادة الملائكة، لأنَّ مهامَّهم تتعلَّق بالحياة، فـ(جبريل) موكَّل بحياة القلوب، و(ميكائيل) موكَّل بحياة النَّبات، و(إسرافيل) موكَّل بحياة الأبدان.

وأشرفهم وخيرهم: جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، وهو رُوح القدس.

وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ: مَالِكُ خَازِنُ النَّارِ.

وَمِنْهُمْ: خَازِنُ الْجَنَّةِ، والمشهور عند العلماء أَنَّ اسمَ خَازِنِ الْجَنَّةِ: رضوان^(١)، وجاء ذكره بِاسْمِ (رضوان) في بعض الأحاديث الَّتِي فِي ثبوتها نَظَرٌ، والثَّابِتُ فِي الْأَحَادِيثِ لَقَبُهُ (الخازن) لَا اسْمَهُ، فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَى بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاسْتَفْتَحَ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: (مَنْ أَنْتَ؟) فَأَقُولُ: (مُحَمَّدٌ) فَيَقُولُ: (بِكَ أَمِرتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ)»^(٢).

وَمِنْهُمْ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وهما اللَّذَانِ يَسْأَلَانِ الْمَيِّتَ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ تَسْمِيَتُهُمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ»^(٣).

نُؤْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا، مَنْ سُمِّيَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُسَمَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.



(١) ينظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٢/ ٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» (١٠٧١)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»

قال المصنف وفق الله:

الإيمان بالكتب:

١٣- وَكُتِبَ لَهُ الدُّسْتُورُ ٥٧ الصُّحُفُ وَالزَّبُورُ

١٤- تَوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ ٥٨ وَهَـيْمَنَ التَّنْزِيلُ



قال الشارح وفق الله:

الرُّكن الثالث من أركان الإيمان: هو الإيمان بالكتب، وذلك بالإقرار بكل كتاب أنزله الله **تعالى** على رسولٍ من رُسُلِهِ، وباعتقاد أنها حقٌّ، وأنها مُنزَلةٌ غير مخلوقة. ومنها: ما سُمِّي، كالقرآن، والتَّوراة، والإنجيل، والزَّبُور، وصحف إبراهيم وموسى. ومنها: ما لم يُسمَّ.

قال: (**وَكُتِبَ الدُّسْتُورُ**): أي للأنبياء وأتباعهم يرجعون إليها ويحكمون بما فيها، قال **تعالى**: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٥]، وهو يشمل جميع ما أنزله الله على رسله ﴿وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. نؤمن بما علمنا اسمه منها تعييناً، وما لم نعلم اسمه نؤمن به إيماناً مُجَمَّلاً. ومن كُتِبَ التي أنزلها على رسله:

* صحف إبراهيم وموسى **عليهما السلام**، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

* والزَّبُور لداود **عليه السلام**، ﴿وَعَاثِنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

* والتَّوراة، التي أنزلها على موسى **عليه السلام**.

* والإنجيل، الذي أنزله على عيسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ**.

* وأعظمها: القرآن الكريم، الذي أنزله مهيمناً على الكتب السابقة - أي حاكماً وأميناً وشاهداً عليها -، فاستوعب ما تضمّنته من مصالح ونسخ بعض أحكامها وزاد عليها.

فلا يحلُّ اتباع شريعة غير شريعة القرآن، فقد قال الله **تَعَالَى** بعد أن ذكر التَّوراة والإنجيل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٤٨] يعني القرآن، و(التَّزِيل) من أسمائه، ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



قال المصنف وفق الله:

الإيمان بالرسول:

- ١٥- وَرُسُلُهُ بِالْحَتَمِ ٥٩ أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَرْسِ
١٦- نُوحٌ فَأَبْرَاهِيمُ ٦٠ وَبَعْدَهُ الْكَالِمُ
١٧- وَبَعْدَ عِيسَى الْمُصْطَفَى ٦١ أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى



قال الشارح وفق الله:

الركن الرابع: الإيمان بالرسول، وذلك بالتصديق والإقرار بأن الله **تعالى** اصطفي من البشر رسلاً يُخرجون الناس من الظلمات إلى النور، منهم من قُصَّ علينا في القرآن، ومنهم من لم يُقَصَّ، قال الله **تعالى**: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

والذين سُمُّوا في القرآن خمسة وعشرون، وقد جُمِعَ منهم ثمانية عشر في سياق واحد، وذلك في قوله **تعالى**: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَثَمَارًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ *﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]، هؤلاء ثمانية عشر.

قال النّاطم:

فِي تِلْكَ حُجَّتِنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ
مِّن بَعْدِ عَشْرِ وَيَقِي سَبْعَةٌ وَهُمْ

إِدْرِيسُ، هُوْدٌ، شُعَيْبٌ، صَالِحٌ، وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ، آدَمُ، بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

١٥- وَرُسُلُهُ بِالْحَتَمِ ٥٩ أَفْضَلُهُمْ ذُو الْعَزْمِ

أفضلهم: هم أولو العزم، أي أصحاب الحزم والجِدِّ والصَّبْرِ.

وكلُّ رسل الله كذلك، غير أن هؤلاء الخمسة الذين سمَّاهم كانوا أكمل في هذه

الصفات، قال **تَعَالَى**: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد جمعهم آيتان في كتاب الله في سورة الأحزاب وسورة الشورى:

قوله **تَعَالَى**: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ

مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله **تَعَالَى**: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

قال في «سُلم الوصول»^(١):

وَحَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ الْأَلَى فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلَا

١٦- نُوحٌ فَإِبْرَاهِيمُ ٦٠ وَبَعْدَهُ الْكَلْبِيُّ

(نُوحٌ): هو أوَّلُ الرُّسُلِ، قال **تَعَالَى**: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ

بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي حديث الشَّفاعَةِ الطَّوِيلِ في «الصَّحِيحِينَ»: أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَقُولُ: «إِيتُوا نُوحًا أَوَّلَ رُسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ»^(٢).

(فَإِبْرَاهِيمُ): الْخَلِيلُ، (وَبَعْدَهُ الْكَلْبِيُّ): مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) «سُلم الوصول» البيت (١٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٦٥)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٣).

١٧- وَبَعْدَ عِيسَى الْمُصْطَفَى ٦١ أَفْضَلُهُمْ وَالْمُنْتَهَى

(وَبَعْدَ عِيسَى) ابن مريم: (الْمُصْطَفَى أَفْضَلُهُمْ): نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، بل أَفْضَلُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وسيّد ولد آدم أجمعين.

أخرج مسلم في «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» (١).

قال القاضي عياض في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا خلاف أَنَّهُ أَكْرَمُ الْبَشَرِ، وسيّد ولد آدم، وأفضل الناس منزلةً عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زُلْفَى، واعلم أَنَّ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا) (٢).

(وَالْمُنْتَهَى): أي انتهى به الإرسال والنبوة، فهو خاتم النبيين، قال الله تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» (٣).



(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٧٨).

(٢) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (١ / ١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٦٥)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٣).

قال المصنف وفق الله:

الإيمان بالقدر:

١٨- وَقَدَّرَ الْحَكِيمُ ٦٢ بِعِلْمِهِ الْعَمِيمِ

١٩- فَكَتَبَ فِي الْمُقَدَّرِ ٦٣ فَشَاءَ ثُمَّ بَرَأَ



قال الشارح وفق الله:

الرُّكن الخامس من أركان الإيمان على ترتيب النظم: الإيمان بالقدر، قال الله تعالى:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

ولابن القيم كلمة جليلة ذكرها في صدر كتابه «شفاء العليل» تلخص الكلام في الإيمان بالقدر، قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (القدر بحرٌ محيطٌ لا ساحل له، ولا خروج عنه لأحدٍ من العالمين، والشرع فيه سفينة النجاة، مَنْ ركبها نجا، وَمَنْ تخلف عنها فهو من المغرقين) ^(١).

والإيمان بالقدر له أربع مراتب، ذكرها في النظم:

الأولى: العلم، قال:

١٨- وَقَدَّرَ الْحَكِيمُ ٦٢ بِعِلْمِهِ الْعَمِيمِ

أي الذي عمَّ كلَّ شيء.

الثانية: الكتابة، قال: (فَكَتَبَ الْمُقَدَّرَ).

(١) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (١ / ٧).

الثالثة: المشيئة، قال: (فَشَاءَهُ).

الرابعة: الخلق، قال: (ثُمَّ بَرَأَ) أي خَلَقَ وأَوْجَدَ.

فإذا سُئِلَتْ: (ما القَدَرُ؟) فَقُلْ: (هو عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى بالكائنات، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقها إيّاها).

المرتبة الأولى: العِلْمُ، فنؤمن بأنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِلْمُ ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو

كان كيف يكون، قال الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

المرتبة الثانية: الكتابة، فنؤمن بأنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ، قال الله تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ

أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قال: «وَعَرَّشَهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١).

وقد جَمَعَ هاتين المرتبتين قوله تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[الحج: ٧٠] هذه مرتبة العِلْمِ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ [الحج: ٧٠] هذه مرتبة الكتابة.

المرتبة الثالثة: المشيئة، ﴿وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

المرتبة الرابعة: الخلق، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].



(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٥٣).

قال المصنف وفق الله:

الإيمان المُجَمَّل والمُفَصَّل:

٢٠- نُؤْمِنُ بِالْمُفَصَّلِ ٦٤ فِيمَا مَضَى وَالْمُجَمَّلِ



قال الشارح وفق الله:

الإيمان المُجَمَّل: هو الإيمان العامُّ بكلِّ ما جاء في القرآن والسُّنة ولو لم نعرف تفاصيله.

والإيمان المُفَصَّل: هو الإيمان بكلِّ ما وَصَلَنَا عِلْمُهُ مِنْ تفاصيل الإيمان، كالإيمان بما عَلِمْنَاهُ مِنْ أسماء الله وصفاته، وأسماء كُتِبَ رُسُلُهُ وَفَضَائِلُهُمْ، وأسماء ملائكته ووظائفهم.

ففي الإيمان بالملائكة: مَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ آمَنَّا بِهِ بِاسْمِهِ، وَمَنْ لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

وفي الإيمان بالكُتُب: ما عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا آمَنَّا بِهِ تَعْيِينًا، وما لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانًا مُجْمَلًا.

وفي الإيمان بالرُّسُل: مَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ آمَنَّا بِهِ تَعْيِينًا، وَمَنْ لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ نُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

ثمَّ انتقل إلى المرتبة الثالثة مِنْ مراتب الدِّين، وهي مرتبة (الإحسان).
وسيأتي الكلام على الركن السادس وهو الإيمان باليوم الآخر في باب مستقل.



قال المصنف وفق الله:

المرتبة الثالثة: الإحسان:

٢١- وَالِدَيْنِ يَا إِخْوَانُ ٦٥ قِمَّتُهُ الْإِحْسَانُ

٢٢- أَنْ يُعْبَدَ إِلَهُهُ ٦٦ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

٢٣- أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ ٦٧ بِأَنَّهُ يَرَانَا



قال الشارح وفق الله:

هذه مرتبة الإحسان، وهي أعلى مراتب الدين، كما قال:

٢١- وَالِدَيْنِ يَا إِخْوَانُ ٦٥ قِمَّتُهُ الْإِحْسَانُ

وقد فسر النبي ﷺ (الإحسان) في حديث جبريل المشهور تفسيرا هو من جوامع كلمه ﷺ، فقال حين سأل جبريل عن (الإحسان) فقال: (أخبرني عن الإحسان) قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١)، أخبر ﷺ أَنَّ مرتبة الإحسان على درجتين، وَأَنَّ لِلْمُحْسِنِينَ فِي الْإِحْسَانِ مَقَامَيْنِ:

أحدهما: مقام المُشَاهَدَةِ - وهو أعلاهما -: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ تَرَاهُ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِالْعِبَادَةِ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، قَدْ أَنْارَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ، وَنَفَذَتْ بِصِيرَتِهِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى صَارَ الْغَيْبُ عِنْدَهُ كَالْعَيَانِ، كما قال:

٢٢- أَنْ يُعْبَدَ إِلَهُهُ ٦٦ كَأَنَّكَ تَرَاهُ

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (١) (٨).

والآخر: مقام المراقبة، بأن يستشعر العبد أن الله **تَعَالَى** مُطَّلَعٌ عليه، لا يخفى عليه منه شيء، ومن استشعر ذلك أحسن في عمله، وهو الذي قال فيه:

٢٣- أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ ٦٧ بِأَنَّهُ يُرَآنا

(أَوْ نُوقِنَ الْإِيقَانَ) أي نُوقِنَ الْإِيقَانَ التَّامَّ (بِأَنَّهُ يُرَآنا).

ومقام المراقبة: هو الوسيلة الموصلة إلى مقام المشاهدة، فإذا تحقّق العبد في عبادته بأن الله **تَعَالَى** يراه، وأنه **سُبْحَانَهُ** مُطَّلَعٌ على سرّه وعلايته، لا يخفى عليه شيءٌ من أمره = كان ذلك مِرْقَاةً له إلى مقام المشاهدة بأن يعبد الله كأنّه يراه.



قال المصنف وفق الله:

حقيقة الإيمان ومُسمّاه:

- ٢٤- إِيْمَانٌ بِاللِّسَانِ ٦٨ وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ
٢٥- يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ٦٩ يَقِيلُ بِالزَّلَّاتِ



قال الشارح وفق الله:

ثمّ انتقل إلى الكلام على حقيقة الإيمان ومُسمّاه.

وقد ذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** في كتابه «الدَّاءُ والدَّوَاءُ»: أَنَّ اللَّهَ **تَعَالَى** رَتَّبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى الْإِيمَانِ نَحْوَ مِائَةِ خَصْلَةٍ، كُلُّ خَصْلَةٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ^(١).

- ٢٤- إِيْمَانٌ بِاللِّسَانِ ٦٨ وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ

(إِيْمَانٌ): بالاجتزاء بالكسرة عن الياء.

(بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ): فهو قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعَمَلٌ بالأركان

أي الجوارح.

يدلُّ لهذا: ما في «الصَّحِيحِينَ» مِنْ قَوْلِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْإِيْمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ» أَوْ قَالَ: «بِضْعٌ وَسِتُّونَ»، عَلَى الشَّكِّ «شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)» وَهَذَا قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، «وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» وَهَذَا مِنْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ، «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ» ^(٢) وَهَذَا مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ.

(١) «الدَّاءُ والدَّوَاءُ» (ص ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٩)، ومسلم في «الصحيح» (٣٥).

فالإيمان يكون قولاً باللسان، وعملاً بالجوارح، وعملاً بالقلب.
ويدلُّ لدخول الأعمال: قوله **تَعَالَى**: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فسُمِّيَ
الصَّلَاةُ إيماناً، لأن المقصود بالإيمان في الآية الصَّلَاة، أُطْلِقَ الجميع وأُرِيدَ الجزء.
وكذلك حديث وفد عبد القيس، لما قال لهم النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَمَرُكُمْ بِالْإِيمَانِ
بِاللهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟» ففسره بقوله: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ
مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، «وَإِقَامُ الصَّلَاةِ» وهذا عمل، «وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ» وهذا عمل، «وَصَوْمُ
رَمَضَانَ» وهذا عمل، «وَتُعْطُوا الْخُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ»^(١) وهذا عمل.

٢٥- يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ ٦٩ يَقِلُّ بِالزَّلَّاتِ

الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال الله **تَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا
ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال **تَعَالَى**:
﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، هذا تصريحٌ بزيادة الإيمان، وقد ورد التصريح
بزيادة الإيمان في ستة مواضع من القرآن، وهو كثيرٌ من حيث المعنى، ومنه: قوله **تَعَالَى**:
﴿وَالَّذِينَ آهَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧]، هذا دليلٌ على زيادة الإيمان، لأنَّ الزيادة في
الهُدَى زيادةٌ في الإيمان.

ويدلُّ للنقص: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ
يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم^(٢).
وفي «الصَّحِيحِينَ»: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٨٧)، ومسلم في «الصحيح» (١٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤٩).

وكلُّ دليلٍ يدلُّ على زيادة الإيمان فإنَّه يدلُّ على نَقْصه، كما أشار إلى ذلك الإمام أحمد^(١)، وقال سفيان بن عُيينة: (ليس شيءٌ يزيد إلَّا وهو ينقص)^(٢).

وقد صرَّح بذلك الصَّحابة، فهذا عُمير بن حَبِيبِ الخَطْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -وهو من أصحاب الشَّجرة- قال: (الإيمان يزيد وينقص) قيل له: (وما زيادته ونقصانه؟) قال: (إذا ذكرنا الله تَعَالَى وحمدناه وسبَّحناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نُقصانه)^(٣).

وقد أحصى الشيخ عبد الرزَّاق العبَّاد حَفْظَهُ اللهُ تَعَالَى عن عشرةٍ من الصَّحابة القول بزيادة الإيمان ونقصانه في كتابه «زيادة الإيمان ونقصانه»^(٤).
وقد نقل الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه جَمْعٌ من الأئمَّة، كالإمام أحمد، والبخاري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، في آخرين كُثُر^(٥).



(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٠٤)، ومسلم في «الصحيح» (٧٩).

(١) رواه عنه الخلال في «السُّنَّة» (٣/ ٥٨٨).

(٢) أخرجه الآجري في «الشرعية» (٢/ ٦٠٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٨٥٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٢٧)، والآجري في «الشرعية» (٢/ ٥٨٤)،

واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠١٩/٥).

(٤) ينظر: «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه» (ص ١١٠ - ١١٨).

(٥) ينظر: «زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه» (ص ١٠٦ - ١١٠).

قال المصنف وفقه الله:

من خوارم الإيمان والتوحيد:

٢٦- وَلْتَحْذَرِ الْإِرْجَاءَ ٧٠ وَالشُّرْكَ وَالرِّيَّاءَ



قال الشارح وفقه الله:

بعد أن بين حقيقة الإيمان ومُسمّاه حَذَرٍ مِنَ المَرَجَّةِ القائلين بإرجاء الأعمال، أي تأخيرها عن مُسمّى الإيمان، حَذَرٍ مِنْهُمْ وَمِنْ مَذْهَبِهِمْ، فقال: (وَلْتَحْذَرِ الْإِرْجَاءَ). والمرجئة طوائف، يجمعهم: إخراج العمل عن مُسمّى الإيمان. ويُردُّ عليهم بأن الله **تعالى** سمّى الأعمال إيماناً - كما سبق -، فقال في شأن مَنْ صَلَّوْا إِلَى بيت المقدس وماتوا قبل تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم.

ثم قال: (وَالشُّرْكَ): أي (ولتحذر الشرك) وهو صَرْفُ شَيْءٍ مِنَ العبادَةِ لغير الله، وهو الذَّنْبُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ، قال **تعالى**: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فالواجب: الخوف مِنَ الشُّرْكِ، فشأنه عظيم، وخطره جسيم. وإبراهيم **عليه السلام** وهو الموصوف بتحقيق التَّوْحِيدِ وهو الَّذِي كَسَرَ الْأَصْنَامَ يخاف مِنَ الشُّرْكِ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى بَنِيهِ ويقول: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]! فإذا كانت هذه حال إبراهيم **عليه السلام** فغيره بالخوف مِنَ الشُّرْكِ أَوْلَى.

قال إبراهيم التيمي: (وَمَنْ يَأْمَنُ الْبَلَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ؟!)(١).

وقد علق البخاري في «صحيحه» بصيغة الجزم قول ابن أبي مُليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه)(٢).

وإذا كان الشرك يُخاف منه في زمنٍ سابقٍ فإنه في هذا الزمنٍ أخرى وأجدد أن يُخاف، لأنَّ الشبهة أضحت أقرب ممَّا كانت عليه، تنتشر في القنوات والكتب وفي وسائل التواصل، وقد تعددت صور الشرك، فالمقام عظيم.

وفي «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا! أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا! يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(٣).

هكذا خلال ساعات تأتي شبهة -تصله عن طريق شيءٍ من هذه الوسائل- فيحصل ما أخبر به النبي ﷺ! فالشأن خطير ومُخيف.

لذا على العبد: أن يتهل إلى الله بصِدْقٍ أن يُثبِّتَهُ وَيُجَنِّبَهُ الشَّرْكَ، وأن يخاف على نفسه من الشرك كما كان خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكما كان الصحابة يخافون على أنفسهم من الشرك الأكبر.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ بِمَنَآئٍ وَمَعَزِلٍ عَنِ الشَّرْكَ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ!

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان» (١٣ / ٦٨٧)، وابن أبي حاتم في «التفسير»

(٧ / ٢٢٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» معلقاً (١ / ١٨).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١١٨).

وهذه الطمأنينة أدت إلى أن يستزَلَّ الشَّيْطَانُ مَنْ استزَلَّ إلى الوقوع في صُورٍ مِنَ الشُّرْكَ مختلفة.

وقد قال أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خطبنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشُّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» فقال له مَنْ شاء الله أن يقول: (وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟) قال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»^(١).

وكلما عَظُمَ توحيد العبد عَظُمَ خوفه مِنَ الشُّرْكَ. فعلى العبد: أن يحذر الشُّرْكَ على نفسه، وأن يفزع إلى ربِّه في حفظه، وأن يُكثِرَ مِنْ سؤَالِ الله أَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَنْ يُجَنِّبَهُ الشُّرْكَ. قال: (وَالرِّيَاءَ).

الرِّيَاءُ: إظهارُ العبدِ عمله ليراه الناسُ فيحمدوه عليه، وهو أَخَوْفُ مَا يُخَافُ عَلَى الصَّالِحِينَ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قالوا: (بلى يا رسول الله) قال: «الشُّرْكَ الْخَفِيُّ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيَزِينُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»^(٢)، جَعَلَ الرِّيَاءَ شُرْكًَا خَفِيًّا، لِأَنَّهُ عَمَلٌ قَلْبٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.

(١) أخرجه أحمد في «الصحيح» (١٩٦٠٦)، وحسنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢١ / ١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١١٩).

فخاف النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرِّياءِ على أصحابه أَشَدَّ مِنْ خوفه عليهم مِنْ فتنة المسيح الدَّجَالِ، وفتنة المسيح الدَّجَالِ أعظم فتنةٍ منذُ أَنْ خَلَقَ اللهُ آدمَ إلى قيامِ السَّاعةِ. وقد خاف الرِّياءَ على أصحابه الَّذِينَ هُمْ سادات الأولياء وخير الأُمَّة على الإطلاق، فماذا يقول مَنْ بعدهم؟!!

لذا على المسلم: أَنْ يُكْثِرَ مِنْ سؤالِ اللهِ الإخلاصَ. وقد أرشد النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه إلى سؤالِ اللهِ ذلك - كما سبق في الحديث -، فقال: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»^(١)، فأرشد إلى الدُّعاء، لأنَّ قلوب العباد بين إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كيف يشاء.

وقد كان مِنْ دعاءِ عمرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَالِحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئًا)^(٢).

وعلى المسلم أيضًا: أَنْ يُكْثِرَ مِنْ عبادةِ السِّرِّ الَّتِي تُرَبِّي فِي النَّفْسِ الإخلاصَ. وقد كان السَّلَفُ يَسْتَحِبُّونَ أَنْ تَكُونَ لِلرَّجُلِ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ لَا يَعْلَمُ بِهَا أَحَدٌ، وخير العمل: أخفاه، وأبعده مِنَ الشَّيْطَانِ، وأمنعه مِنَ الرِّياءِ.



(١) أخرجه أحمد في «الصحيح» (١٩٦٠٦)، وحسنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢١ / ١).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (٦١٧)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين» (٢٦١ / ٤).

قال المصنف وفق الله:

٢٧- وَلَا تُكْفَرُ مُسْلِمًا ٧١ بِالذَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَا

٢٨- مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفَرًا ٧٢ وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا



قال الشارح وفق الله:

يقول: لا تُكْفَرُ مُسْلِمًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الذَّنْبِ مَهْمَا عَظُمَ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكِبَائِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ، بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي، كَمَا قَالَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَنْبِئْهُ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [البقرة: ١٧٨]، سَمَّى الْقَاتِلَ أَخًا لَوْلِيِّ الْمَقْتُولِ مَعَ أَنَّ قَتَلَ الْمُؤْمِنِ كَبِيرَةٌ مِنَ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَلَوْ كَفَرَ بِقَتْلِهِ لَانْقَطَعَتِ الْأُخُوَّةُ، وَقَالَ **تَعَالَىٰ: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** [الحجرات: ٩، ١٠]، سَمَّى الطَّائِفَتَيْنِ مُؤْمِنَتَيْنِ مَعَ حُصُولِ الْاِقْتِتَالِ بَيْنَهُمَا وَثُبُوتِ الْبَغْيِ مِنْ إِحْدَاهُمَا.

قال: (مَا لَمْ يُصِبْ مُكْفَرًا) فَيُكْفَرُ بِهِ.

(وَالْخَارِجِيَّ فَاحْذَرَا): احذر المذهب الخارجي والخوارج، وهُم الَّذِينَ يُكْفَرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعَاصِي، فَيَحْكُمُونَ بِكُفْرِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَيَقُولُونَ بِتَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ فِي الْآخِرَةِ، وَيَخْرُجُونَ عَلَىٰ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمَاعَتِهِمْ بِالسَّيْفِ.

وأهل الكبائر تتعلق بهم مسألتان:

- مسألة الاسم.

- ومسألة الحكم.

أَمَّا مسألة الاسم: فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون: مرتكب الكبيرة مؤمنٌ ناقص الإيمان، أي مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته.

أَمَّا مسألة الحكم: فمرتكب الكبيرة إن مات ولم يتب فهو تحت المشيئة: إن شاء الله عَذَّبَه، وإن شاء عفا عنه.

ثمَّ إن أنفذ الله فيه وعيده وأدخله النَّار: فَإِنَّهُ لَا يُخَلَّدُ فِيهَا، بل مآله إلى الجنة، فَإِنَّهُ مَنْ مات لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دخل الجنة كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ^(١)، إِمَّا ابتداءً وإِمَّا بعد أَمَدٍ، هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة.

وقد ضلَّ في هذا الباب طائفتان:

إحدهما: غلاة المرجئة، الَّذِينَ جعلوا الفاسق مؤمناً كامل الإيمان.
والطائفة الأخرى: الخوارج، الَّذِينَ كَفَرُوا بالمسلمين بالمعاصي وَحَكَمُوا بتخليدهم في النَّار في الآخرة.

ثم انتقل إلى بيان الرُّكن السَّادس من أركان الإيمان على ترتيب النَّظْم: وهو الإيمان باليوم الآخر.



(١) أخرج مسلم في «الصحيح» (١١٨) عن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ

فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار».

قال المصنف وفقه الله:

الآخرة

عذاب القبر ونعيمه:

- ١- نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ٧٣ وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ
- ٢- سُؤَالِهِ وَضَمَّتِهِ ٧٤ عَذَابُهُ وَنَعْمَتُهُ



قال الشارح وفقه الله:

الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة موضوعات رئيسية:

الأول: البرزخ، وهو من خروج الروح إلى نفخة البعث.

ومن ذلك: فتنة القبر بسؤال المَلَكَيْنِ: (مَنْ رَبُّكَ؟ وما دينك؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟)، ونعيم

القبر وعذابه.

الثاني: يوم القيامة، وهو من البعث إلى دخول الجنة أو النار.

ومن ذلك: تطاير الصحف، والحوض، والميزان، والصراط، والشفاعة، ونحو ذلك

ممَّا يكون في عرصات القيامة.

الثالث: الجنة والنار وما فيهما، نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار.

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: أشرط الساعة، فهي مُقَدِّمَاتُ لليوم الآخر

وعلامات على قُربِهِ، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

والموفق: مَنْ رَزَقَهُ اللهُ تَذَكُّرَ الدَّارِ الآخِرَةِ، وقد قال **تَعَالَى**: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]: أي خصصناهم بخصلة عظيمة، وهي أننا ملأنا قلوبهم بذكر الدار الآخرة، فكان وقتهم مصروفًا في العمل والاستعداد لها.

١- نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ ٧٣ وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ

(نُؤْمِنُ بِالْقِيَامَةِ): نؤمن بكل ما جاء في القرآن والسنة من أمور القيامة، وأولها: عند موت الإنسان، ومن مات فقد قامت قيامته، لأنه انتهت علاقته بهذه الحياة، وصار رهينًا بعمله لتلك الحياة البرزخية تحت الثرى.

(وَالْقَبْرِ فِي الْبِدَايَةِ): قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ» (١).

٢- سُؤَالِهِ وَضَمَّتِهِ ٧٤ عَذَابُهُ وَنِعْمَتُهُ

(سُؤَالِهِ): وهي فتنة القبر، بسؤال الملكين العبد عن ربه ودينه ونبئه، كما سبق في (باب الأصول الثلاثة).

(وَضَمَّتِهِ): إذا وُضِعَ المَيِّتُ في قبره فإنَّ القبر يَضُمُّهُ، وهذه الضمَّة لا ينجو منها أحد صالحًا كان أو طالحًا، وإن كانوا يتفاتون في ذلك، كلُّ بحسب عمله وحاله.

أخرج أحمد في «المُسْنَد» عن عائشة **رَضِيَ اللهُ عَنْهَا** أَنَّ رَسُولَ اللهِ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» (٢).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٠٨)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٩١).

(٢) أخرجه أحمد في «الصحيح» (٢٤٢٨٣)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (١٦٩٥) (٤/ ٢٦٨).

وعند النسائي من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ عَنْ سَعْدِ بْنِ معاذ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** حين تُوفِّي: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ الْعَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةٌ ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»^(١).

(عَذَابِهِ وَنِعْمَتِهِ): يدلُّ لعذابِ القبرِ ونعيمِهِ: حديثُ البراء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند أحمد وأبي داود وفيه: قال في المؤمن: «فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»، فهذا من النعيم.

وقال في الكافر: «فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ»^(٢)، فهذا من العذاب.

وقد قال الله **تَعَالَى**: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ

فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿﴾ [غافر: ٤٦]: (الواو) تقتضي المغايرة، فيكون عَرْضُهُمْ على النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا حاصلًا في البرزخ وهم في قبورهم، ثمَّ يوم القيامة يُدْخَلُونَ أَشَدَّ العذاب في نار جهنم عيادًا بالله.

ومن السنة: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَوْ لَا أَلَّا تَدَافِنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسَمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، أخرجه مسلم^(٣).

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٢٠٥٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (١١٧٢ / ٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٨٣٢)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٥٣) بنحوه، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٥٨) (٣ / ٣٩٧).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٨٦٨).

وفي «مسلم» أيضاً: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»^(١).

ثمَّ عذاب القبر: هل هو دائمٌ أو منقطع؟

هو بالنسبة للكفار دائم، قال **تَعَالَى**: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾* [غافر: ٤٦]: يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا إلى قيام الساعة.

أما العصاة فمنهم: مَنْ يكون عذابه دائماً، يشهد لهذا قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخِيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٢). ومنهم: مَنْ ينقطع عذابه.

وأسباب عذاب القبر كثيرة:

* لكنَّ السَّبَبَ الْمُجْمَلُ الَّذِي يَجْمَعُهَا كُلُّهَا: هو المعاصي.

قال الله **تَعَالَى**: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾* [طه: ١٢٤]، ثبت عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ فَسَّرَ الْمَعِيشَةَ الضَّنْكَ بعذاب القبر، جَوَّدَ إِسْنَادَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٨٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣١٦/٥).

* وهناك أسبابٌ مُفَصَّلَةٌ في عذاب القبر، مثل عدم الاستنزاه مِنَ البول، وكذلك التَّيمِّمة، كما ورد في الحديث في صاحبي القبرين^(١)، وكذلك الزَّنى والرِّبَا والنَّوم عن الصَّلَاة، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة.

وأما الوقاية من عذاب القبر:

* فالسَّبب المُجْمَلُ لها: هو فِعْلُ الحسنات، قال الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ لَهُمْ يَمَّهْدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]، قال مجاهد: (في القبر)، أخرجه الطَّبْرِيُّ في «تفسيره»^(٢).

* وأما الأسباب المفصلة: فهي كثيرة، مِنْ أهمَّها: قراءة سورة تبارك كلَّ ليلة، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما أخرجه النَّسَائِيُّ في «الكبرى»: (مَنْ قرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كلَّ ليلةٍ مَنَعَهُ اللهُ بها مِنْ عذاب القبر، وَكُنَّا في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُسَمِّيها المانعة، وإنَّها في كتاب الله سورة، مَنْ قرأ بها كلَّ ليلةٍ فقد أكثر وأطاب)^(٣).

وكذلك أيضًا كثرة الاستعاذة من عذاب القبر، والشَّهادة في سبيل الله، والرِّباط، وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة.



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢١٨)، مسلم في «الصحيح» (٢٩٢).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (١٨ / ٥١٦).

(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٤٧٩)، وحسنه الألباني كما في «صحيح الترمذي والترهيب»

قال المصنف وفق الله:

البعث والحشر:

٣- فَاَلْبَعَثْ ثُمَّ الْحَشِرَ ٧٥ عَلَى اخْتِلَافِ الْقَدْرِ



قال الشارح وفق الله:

نؤمن بـ (البعث)، والمقصود به: إحياء الموتى، بإعادة الأرواح إلى الأجساد حين ينفخ الملك في الصور النفخة الثانية.

فـ (البعث) حق ثابت، دل عليه: الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

وهو مقتضى الحكمة، فإنها تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة ميعاداً يجازيهم فيه على ما شرعه لهم، وأمرهم به.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]،

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

(ثُمَّ الْحَشِرُ): وهو جمع الأولين والآخرين إلى موقف الحساب، قال تعالى:

﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ *

لَمَجْبُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٠، ٤٩].

(عَلَى اخْتِلَافِ الْقَدْرِ)، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ

الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].



قال المصنف وفق الله:

الشفاعة الكبرى:

٤- فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ ٧٦ مَقَامُهُ الْعَلِيُّ



قال الشارح وفق الله:

هذه الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهي شفاعته في أهل الموقف حتى يُقْضَى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء (آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَام) عن الشفاعة، حتى تنتهي إلى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولها قصة أخرجه بطولها الشيخان في «الصحيحين»^(١)، وفيها: أَنَّهُمْ يَتَهَوَّنُونَ إِلَى نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولون: (يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! قال: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ: (يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ)، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: (يَا رَبِّ، أُمِّتِي أُمِّتِي) فيَقَالُ: (يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ أُمِّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ)». قال الناظم: (فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ مَقَامُهُ الْعَلِيُّ) أي الشفاعة المفهومة من قوله: (فَيَشْفَعُ النَّبِيُّ) هي (مَقَامُهُ الْعَلِيُّ).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٧١٢)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٤).

وللنبي ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة، أجمع العلماء على أنها خاصة به ﷺ:

- الشفاعة العظمى، التي سبق الكلام عليها.
- وشفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها، كما في «صحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: (من أنت؟) فأقول: (محمد)، فيقول: (بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك)»^(١).
- وشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب، كما في «الصحيحين» من حديث العباس رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك) قال: «نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»^(٢)، الضحضاح: ما رُق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، أي أنه قريب القاع، ليس عميقاً.
- ثم هناك شفاعات أخرى له ﷺ ولغيره، كالشفاعة في أقوام دخلوا النار أن يخرجوا منها، يدل لها: حديث «الصحيحين»: «انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخبروه»^(٣).



(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٢٠٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٢)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٤).

قال المصنف وفق الله:

الحساب:

٥- فَيَنْشُرُ الْكِتَابُ ٧٧ وَيَدُّ الْحِسَابُ

٦- بِالْعَذْلِ وَالْمِيزَانِ ٧٨ وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ



قال الشارح وفق الله:

هذا موقف آخر عظيم من مواقف القيامة، وهو نشر الصحف وإيتاؤها.

قال الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وقال تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا

* أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

والبحث في هذا مبني على ثبوت كتابة الأعمال في الدنيا، وهي قضية قطعية، دلت

عليها جملة من الأدلة، منها: قوله تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وقوله تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

الصَّحِيفَةُ الَّتِي تَمْلُؤُهَا فِي الدُّنْيَا: ذكرها الله تَعَالَى في سورة الانفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

لِحَافِظِينَ كِرَامًا كُنُيْنَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١].

وصحيفتك في البرزخ: ذكرها الله تَعَالَى في سورة المطففين - في السورة التي بعدها -،

قال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي

عِلِّيْنٍ﴾ [المطففين: ١٨].

ثُمَّ صَحِيفَتِكَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ: ذكرها الله **تَعَالَى** في السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَنَقَلُبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، وَلَمَّا ذَكَرَ الْكَفَّارَ قَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُوا بُرُورًا * وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢]، ومثلها أيضًا في سورة الحاقة: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وقد جمع بينهما أهل العلم: بأنه يُؤْتَى كتابه بشماله ووراء ظهره.

(وَيَبْدَأُ الْحِسَابَ): المقصود بـ(الحساب): تقريرُ العبادِ بأعمالهم، وتذكيرهم بما نسوه منها.

و(الحساب) نوعان: عَرْض، ومناقشة، ف(العَرْض): أَنْ تُعْرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَعْمَالُهُ، حَتَّى يَعْرِفَ مِنْهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي سِتْرِهِ ذُنُوبَهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَفْوُهُ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ.

وقد جاء في صفة العَرْض حديثُ ابنِ عمرَ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا** في «الصَّحِيحِينَ»: أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «يُذْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ **عَزَّوَجَلَّ** حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَفَّهُ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ: (أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟) يَقُولُ: (رَبِّ أَعْرِفْ، رَبِّ أَعْرِفْ)، فَيَقُولُ: (سَتَرْتَهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرَهَا لَكَ الْيَوْمَ)، ثُمَّ تُطَوَّى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ»^(١).

والمناقشة: هي استقصاء الأعمالِ صغيرها وكبيرها، والتدقيقُ في ذلك، وعدمُ المسامحةِ عليها.

وأوضح ما يُمثَّلُ به للمناقشة: حديثُ الثلاثة الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -نسأل الله العافية-، العالمُ الَّذِي طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: (عَالِمٌ)، وقرأ القرآنَ لِيُقَالَ: (قَارِئٌ)، والمُجَاهِدُ الَّذِي جَاهَدَ لِيُقَالَ: (شَجَاعٌ)، والمنفقُ الَّذِي أَنْفَقَ لِيُقَالَ: (جَوَادٌ).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٦٨٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٦٨).

جاء فيه: أَنَّ «أَوَّلَ مَنْ يَدْعُو بِهِ: رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِي: (أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟!) قَالَ: (بَلَى يَا رَبِّ!) قَالَ: (فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟) قَالَ: (كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ) فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: (كَذَبْتَ!)، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: (كَذَبْتَ!)، وَيَقُولُ اللَّهُ: (بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: "إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ" فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ)، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ»^(١) فيقال له نحو ذلك، ويؤتى بالمجاهد فيقال له نحو ذلك.

وفي «الصَّحِيحِينَ»: عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبُ» قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (قلتُ: أليس يقول الله تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟! قال: «ذَلِكَ الْعَرَضُ»^(٢).

٥- وَيَبْدَأُ الْحِسَابُ ٧٧

٦- بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ ٧٨ وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ

(بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ): هذا يرجع إلى حساب المناقشة للمُعَذَّبِ، يكون بالعدل والميزان.

(وَالْفَضْلِ وَالْغُفْرَانِ): هذا يرجع إلى حساب العَرَضِ لغير المُعَذَّبِ، يكون بالفضل والغفران.

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»

(٢/ ١١٧)، وأصله في «صحيح مسلم» (١٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٣٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨٧٦).

وقوله: (وَالْمِيزَانِ) بمعنى العدل، ويصلح أن يُشار هنا إلى موقفٍ آخرٍ عظيمٍ يكون في عرصات القيامة، وهو وَزْنُ أعمال العباد، قال الله تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والمسلمون في الوزن لهم ثلاث أحوال:

الحال الأولى: رُجحان الحسنات، فمن رجحت حسناته ولو بحسنةٍ واحدةٍ فهو إلى الجنة بلا سابقة عذاب، وهم متفاوتون في ذلك تفاوتًا عظيمًا، قال الله تَعَالَى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

الحال الثانية: رُجحان السيئات، وهؤلاء هم أهل المحنة والبليّة -نسأل الله العافية-، قال تَعَالَى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩].

الحال الثالثة: تساوي الحسنات والسيئات، وأهلها: أصحاب الأعراف، قال الله تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، ومآلهم: إلى الجنة، كما قال سُبْحَانَهُ في الآيات نفسها: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَقَّ اللَّهُ:

الْأَهْوَالِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ:

٧- نُؤْمِنُ بِالْظَّلَالِ ٧٩ وَالْحَاوُضِ وَالْأَهْـوَالِ

٨- وَالْجَسْرِ وَالنَّيِّرَانِ ٨٠ وَالْخُلْدِ وَالْجَنَانِ



قَالَ الشَّارِحُ وَفَقَّ اللَّهُ:

(نُؤْمِنُ بِالْظَّلَالِ): في يوم القيامة، أي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُظِلُّ مَنْ يَشَاءُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ، كما في «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»^(١) وذكرهم.

وورد في أحاديث أخرى زيادة على المذكورين في هذا الحديث.

وهذا الموضوع -موضوعُ الخِصالِ المُوصلةِ إلى أن يكون العبد مَمَّنْ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يوم القيامة- أُفرد بمؤلفات مستقلة، ككتاب الحافظ ابن حجر «معرفة الخِصالِ المُوصلةِ إلى الظلال».

ويُظِلُّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُتَصَدِّقِينَ فِي ظِلِّ صَدَقَاتِهِمْ، كما عند أحمد وابن حبان والحاكم عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٦٠)، ومسلم في «الصحيح» (١٠٣١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٣٣٣)، وابن حبان في «الصحيح» (٣٣١٠)، والحاكم في «المستدرک» (١٥١٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٧٢) (١/ ٥٢٣).

(وَالْحَوْضُ): (الحوض) في اللغة: مَجْمَعُ الماء.

والمقصود به هنا: مَجْمَعُ الماء العظيم الَّذِي يضعه الله تَعَالَى في عرصات القيامة، ويرده المؤمنون.

وهو الموقف الوحيد من مواقف القيامة الَّذِي لم يرد ذكره في القرآن. فمواقف القيامة كلها ذكرت في القرآن إِلَّا الحوض، فلم يرد ذكره صراحةً في القرآن، وقد بلغت الأحاديث فيه مبلغ التواتر، رواها أكثر من خمسين صحابياً، كما جَمَعَ ذلك الحافظ ابن حجر، وذكر رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً^(١).

وورد في الأدلة صفات (الحوض)، فمن ذلك:

- أَنَّ لون مائه: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ»^(٢)، وفي رواية: «مِنَ الثَّلَجِ»^(٣)، وفي رواية: «مِنَ الْوَرَقِ»^(٤) الورق: الفضة.
- وَأَنَّهُ «أَبْرَدُ مِنَ الثَّلَجِ»^(٥).
- وَأَنَّ «رِيحَهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ»^(٦).

(١) يُنظر: فتح الباري (١١ / ٤٦٩).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٣٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٤٧).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٩٢).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٦١٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»

(٣٦١٦) (٣ / ٤٤١).

- وأنَّ طعمه: «أَحْلَى مِنْ الْعَسَلِ»^(١).
- وأنَّ «كِزَانَهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ»^(٢)، وفي رواية: «لَأَنِّيْهُ أَكْثَرُ مِنْ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا»^(٣).
- وأنَّ «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٤).
- وأنه «يَشْخُبُ فِيهِ مِزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ»^(٥)، ومعنى يشخب - بَضَمَّ الخاء وفتحها -: يسيل.
- وورد في مساحته قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ»^(٦)، وورد: «عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ»^(٧).

مسألة: ما الفرق بين الحوض والكوثر؟

الفرق الأول: الكوثر في الجنة، والحوض في عرصات القيامة.

-
- (٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٧٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٩٢).
 - (١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٣٠٠).
 - (٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٩٢).
 - (٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٣٠٠).
 - (٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦١٦٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٤٤٤)، وابن ماجه في «السنن» (٤٣٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١٥) (٣/ ٤٣٩).
 - (٥) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٣٠٠).
 - (٦) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٩٢).
 - (٧) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٣٠٠).

والفرق الثاني: أن الكوثر أصل الحوض ومنه يُمدُّ الحوض.

والفرق الثالث: أن الكوثر خاصٌّ بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، أما الحوض فورد عند الترمذي أن النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم -

قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ

وَارِدَةً»^(١). وهذا الفرق الثالث القولُ به موقوفٌ على صحة الحديث.

ويُزاد عن الحوض جماعة قال - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا لِيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ

حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ:

سُحْقًا سُحْقًا»^(٢) أي بُعدًا بُعدًا.

والذين يُذادون أصناف:

الصَّنْفُ الأوَّل: المرتدُّون، ففي «الصَّحِيحِينَ»: «إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ

مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»^(٣).

الصَّنْفُ الثَّانِي: مبتدعةٌ مُحدِّثون، ففي «الصَّحِيحِينَ»: «إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا أَحَدَثُوا

بَعْدَكَ»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٤٣). وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»

(١٥٨٩) (١١٧ / ٤): (إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح)، وصحح الترمذي عقب

إخراجه إرساله، وهو ظاهر اختيار الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١ / ٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٠٥٠)، ومسلم في «الصحيح» (٢٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٣٤٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨٦٠).

الصَّنْفُ الثَّالِثُ: ذكره جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُمْ مَنْ عَظُمَتْ جَرَائِمُهُمْ وَكَبُرَتْ ذُنُوبُهُمْ، ذكره ابن عبد البر في «التمهيد»^(١)، والقرطبي في «التذكرة»^(٢).

وورد ما يدلُّ عليه، ففي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا يَفْعَلُونَ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضُ»^(٣).

(وَالْأَهْوَالُ): نَوْْمٌ بِالْأَهْوَالِ الْعَظِيمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ يَوْمُ الصَّاحَّةِ، وَالْقَارِعَةِ، وَالطَّامَّةِ، وَيَوْمُ الزَّلْزَلَةِ، وَالْحَاقَّةِ، يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمَقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ عَرْقُهُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوِيهِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا، وَأَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فَمِهِ.

يشيب فيه الولدان الصغار، مِنْ شِدَّةِ هَوْلِهِ وَكَرْبِهِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ لِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ: تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتَسْعِينَ، فَذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلًا حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ﴾

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٦٢٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨٦٠).

(١) يُنْظَرُ: «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» (٢٠/٢٦٢)، و«الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار» (١/١٩٥).

(٢) يُنْظَرُ: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٧١)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٤/١٦٨).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٤٤١)، والنسائي في «المجتبى» (٤٢٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٤٢) (٢/٥٤٠).

اللَّهُ شَدِيدٌ ﴿[الحج: ٢]﴾ (١).

٨- وَالْجِسْرِ وَالنَّيِّرَانِ ٨٠ وَالْخُلْدِ وَالْجَنَّةِ

(وَالْجِسْرِ): وهو الصُّراط المنصوب على متن جهنم.

قال الله تَعَالَى: ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

والمقصود بـ(الورود) هنا: المرور على الصُّراط، وليس معناه دخول جهنم.

(الورود) في اللغة: يأتي بمعنى الإشراف على الشيء، دَخَلَهُ أو لم يدخله.

مِنَ الْوُرُودِ الَّذِي مَعَهُ دُخُولٌ فِي الْقُرْآنِ: قوله تَعَالَى عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

فَأُورِدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] أي أدخلهم النار ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨].

وَمِنَ الْوُرُودِ الَّذِي لَيْسَ مَعَهُ دُخُولٌ: قوله تَعَالَى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ

مَدْيَنَ﴾ [الفصص: ٢٣]، هو لم يدخل البئر وإنما أشرف عليها.

فليس معنى (الورود) في ﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]: الدُّخُولُ، بدليل قوله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في «صحيح مسلم» -: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ

الشَّجَرَةِ أَحَدُ الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا» (٢)، فالمقصود بـ(الورود): المرور على الصُّراط.

وقد ورد في الأدلة من صفاته: أَنَّهُ لَا تَثْبِتُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ وَلَا تَسْتَقَرُّ فِي «الصَّحَّاحِينَ»:

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ» (٣) معناه أَنَّهُ لَا تَثْبِتُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ وَلَا

تَسْتَقَرُّ بَلْ تَزَلُّقُ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٣٤٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٤٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٣٩)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٣).

وورد من صفاته: أنه على حافتيه خطايف وكلايب وحسكة.
الخطايف: جمع (خُطَاف)، والكلايب: جمع (كَلُوب)، ومعنى الخُطَاف
والكَلُوب: الحديد المعكوفة الرأس، يُعلّق فيها اللحم وتوضع في التَّنُور.
وأما كيفية خطايف النار وكلايبها: فالله أعلم بها، أجارنا الله وإياكم.
والحسكة: الشوك الصلب من حديد، في رواية «مسلم»: «وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ
كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أَمَرَتْ بِهِ»^(١).

وورد في صفاته: أنه حاد كالسيف، قال أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كما في «صحيح
مسلم» - : «بَلَّغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُ مِنَ السَّيْفِ»^(٢).
ويمرُّ الناس عليه على أحوالٍ مختلفة متفاوتة من حيث السرعة، ومن حيث النور
والظلمة:

أما من حيث السرعة: فقد دلت الأحاديث على أنهم متفاوتون في سرعتهم على قدر
أعمالهم، فمنهم: مَنْ يَمُرُّ كَلَمَحِ البصر، ومنهم: مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، ومنهم: مَنْ يَمُرُّ
كَالرَّيْحِ، ومنهم: مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، ومنهم: مَنْ يَمُرُّ كِرَكَابِ الْإِبِلِ^(٣)، ومنهم: مَنْ
يَعْدُو عَدْوًا، ومنهم: مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، ومنهم: مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وآخرهم رجلٌ يتلبَّطُ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨٣).

(٣) أخرج البخاري في «الصحيح» (٧٤٣٩)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٣) واللفظ له عن أبي
سعيد الخدري في حديث طويل: «فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ
وَكَالْجَوَادِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ».

على بطنه فيقول: (أي رب، لماذا أبطأت بي؟) فيقول: (لم أبطئ بك، وإنما أبطأ بك عملك) (١).

وهم متفاوتون كذلك من حيث النور والظلمة:

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «يُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى نُورَهُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ ذَلِكَ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً، وَيُطْفِئُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَمَهُ، وَإِذَا طَفِئَ قَامَ، فَيَمُرُّ وَيَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضُ مَزِلَّةٍ، فَيُقَالُ: (انْجُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ)» (٢).

فهذه أحوالهم من حيث النور والظلمة.

وأما نتيجة العبور على الصِّرَاط: فقد بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنهم على ثلاثة أقسام، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ» أي مجروح، «وَمَكْدُوسٌ فِي نَارٍ

(١) أخرج الحاكم في «المستدرک» (٨٥١٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وذكر ابن كثير في «البدایة والنهاية» (٢٠ / ٩٥) أنه روي مرفوعاً وموقوفاً قال: (والموقوف أصح) وله حكم الرفع لأنه من الأمور الغيبية فهو مما لا يقال بالرأي.

(٢) أخرج الحاكم في «المستدرک» (٣٤٢٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٥٩١) (٣ / ٤١٨).

جَهَنَّمَ»^(١) مَكْدُوس: مِّن (تَكَدَّسَتِ الْأَشْيَاء) إِذَا رَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وفي لفظ: «وَمَنْكُوسٌ فِيهَا»^(٢) أي ساقطٌ على رأسه.

وهذه الأقسام الثلاثة جَمَعَهَا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي شَطْرِ بَيْتٍ مِّن «مِمْيَّة»^(٣)، قال: وَخُذْ مِنْ ثَقَى الرَّحْمَنِ أَسْبَغَ جُنَّةٍ لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عِيَانًا جَهَنَّمَ وَيُنْصَبُ ذَاكَ الْجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا فَهَآؤُ وَمَخْدُوشٌ وَنَاجٍ مُسَلِّمٌ

٨- وَالنِّيَرَانِ ٨٠ وَالْخُلْدِ وَالْجَنَانِ

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. فَالْجَنَّةُ: هِيَ الدَّارُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، جَزَاءً عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ.

وَالنَّارُ: هِيَ الدَّارُ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ عَقُوبَةً لِلْكَافِرِينَ، جَزَاءً وَفَاقًا عَلَى سُوءِ أَعْمَالِهِمْ. نَوْْمَنُ بَأَنَّهُمَا حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِمَا، فِي «الصَّحِيحِينَ» مِّنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٣٩)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٤٢٨٠)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٣٦٠).

(٣) «طريق الهجرتين وباب السعادتین» (١/ ١١٤).

مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ،
وَالْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ = أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»^(١).

ونؤمن بأنهما موجودتان الآن، قال الله **تَعَالَى** عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، (أُعِدَّتْ): فعل ماضٍ.
والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قد رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف، قال كما في
«الصحيحين»: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عَنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمُ مِنْهُ مَا بَقِيَ
الدُّنْيَا، وَارِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرْ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ»^(٢).

ونؤمن بأنهما باقيتان دائمتان لا تغنيان أبدًا ولا يفنى ما فيهما:

قال الله **تَعَالَى** عن المؤمنين في الجنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال عن الكافرين في النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
[الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ) فَيَشْرَبُونَ
وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: (هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟) فَيَقُولُونَ: (نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ) وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ
يُنَادِي: (يَا أَهْلَ النَّارِ) فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: (هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟) فَيَقُولُونَ: (نَعَمْ،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٣٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٠٥٢)، ومسلم في «الصحيح» (٩٠٧).

هَذَا الْمَوْتُ) وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآه، فَيُذْبِح، ثُمَّ يَقُول: (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ
النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ)»^(١).



(١) أخرجه البخاري في «الصحیح» (٤٧٣٠)، ومسلم في «الصحیح» (٢٨٤٩).

قال المصنف وفق الله:

رؤية المؤمن لله في القيامة:

٩- ورؤيته الأبـرار ٨١ بـالعـين للجـبار



قال الشارح وفق الله:

نؤمن برؤية الأبرار بالعين للجبار، يرونه **سُبْحَانَهُ** وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة.

ورؤية وجه الله الكريم هو أعلى النعيم، وأعظم النعيم.

قال الله **تَعَالَى**: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۖ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال **سُبْحَانَهُ**: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ۖ﴾ [المطففين: ١٥]، استدلل بها على رؤية

الله في الآخرة مالك والشافعي^(١)، وذلك أنه لما حُجب أعداؤه فلم يروه تجلَّى لأوليائه حتى رأوه.

وقال **تَعَالَى**: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسّر النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الزيادة) بالنظر إلى وجه الله الكريم.

في «صحيح مسلم» عن ضهيب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ

الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: (تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟) فَيَقُولُونَ: (أَلَمْ تُبَيِّضْ

وُجُوهَنَا؟! أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟!) قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا

(١) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٦٦)، وزاد المسير (٤/ ٤١٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١).

شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ **عَزَّجَلَّ**، ثُمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] (١).

وفي «الصَّحِيحِينَ» من حديث جرير بن عبد الله البجلي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» (٢).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ** في هذا الحديث: (وهذا الحديث من أصحِّ الأحاديث على وجه الأرض، المُتَلَقَّاةُ بِالْقَبُولِ، المُجْمَعُ عَلَيْهَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ بِالْحَدِيثِ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ) (٣).

قال ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «النُّونِيَّةِ» (٤):

وَاللَّهُ لَوَلَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِيهِ	جَنَّتِ مَا طَابَتْ لِذِي الْعِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَا وَجْهِهِ	وَخِطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ	سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِنِي النَّيرَانِ
وَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي	هُم فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى	لَذَاتِهِمْ مِّنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٥٤)، ومسلم في «الصحيح» (٦٣٣).

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٦ / ٤٢١).

(٤) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٣ / ١٠١٦).

فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤُوسِهِ سِوَى هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْأُمَرَانِ
ولمَّا رأى النِّسوةُ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دُهِلْنَ عن شعورهنَّ لِمَا رَأَيْنَ مِنْ جَمَالِهِ فَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَلَمْ يُحَسِّنْ بِالْمِ الْقَطْعِ، وَهَذَا فِي رُؤْيَا مَخْلُوقٍ مُحَدَّثٍ لَهُ مَنْ يَقَارِبُهُ وَيُدَانِيهِ فِي
الْجَمَالِ، وَإِنَّمَا فَاقَ بَنِي جِنْسِهِ فِي الْجَمَالِ وَالْحُسْنِ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ
رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ لَهُ الْجَمَالُ كُلُّهُ وَالْكَمَالُ كُلُّهُ؟! وَنِسْبَةُ كُلِّ جَمَالٍ فِي الْوُجُودِ إِلَى
جَمَالِهِ وَجَلَالِهِ أَقْلٌ مِنْ نِسْبَةِ سِرَاجٍ ضَعِيفٍ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ) (١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «النُّونِيَّةِ» (٢):

وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالٌ سَائِرٍ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ فَرُبُّهَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٣):

وَوَرَاءَ هَاتِيكَ السُّتُورِ مُحَجَّبٌ بِالْحُسْنِ كُلُّ الْعِزِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ بَعْضَ جَمَالِهِ لَبَذَلْتَ مِنْكَ الرُّوحَ فِي إِرْضَائِهِ
مَا طَابَتْ الدُّنْيَا بِغَيْرِ حَدِيثِهِ كَلَّا وَلَا الْآخِرَى بِدُونِ لِقَائِهِ
وقد ثبت في دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ،
وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ» (٤).

(١) «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٤ / ٣٦٦).

(٢) «نُونِيَّةُ ابْنِ الْقَيِّمِ الْكَافِيَةُ الشَّافِيَّةُ» (٣ / ٧٠٦).

(٣) «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (٤ / ٢١٨).

فحريّ بنا أن ندخل هذا في دعائنا، فندعو بهذه الدعوة التي كان يدعو بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم.

وأعظم لحظة، وأجمل لحظة: هي تلك التي يفوز فيها العبد بهذا النعيم الذي هو
أعظم النعيم.

تفكرُك في أنك على موعدٍ عظيمٍ لرؤية وجه الله الكريم **جَلَّ جَلَالُهُ** يسوقك سوقاً حثيثاً
إلى دوام ذكره والاجتهاد في طاعته حتى تلقاه.

قال الحسن البصري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (لو يعلم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في
المعاد لزهقت أنفسهم في الدنيا) (١).

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا
فتنة مضلة.



(٤) أخرجه النسائي في «المجتبى» (١٣٠٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير»

(١٣٠١) (١ / ٢٧٩).

(١) «تفسير الثعلبي» (١٠ / ١٥٤)، و«تفسير البغوي» (٨ / ٣٦٦).

قال المصنف وفقه الله:

الحقوق ومكارم الأخلاق

حقُّ الله، وشرط صحَّة العمل:

١- نُوحِّدُ الْقَهَّارَا ٨٢ وَنَتَّبِعُ الْمُخْتَارَا



قال الشارح وفقه الله:

خَتَمَ وَفَّقَهُ اللَّهُ بِبَابِ (الحقوق ومكارم الأخلاق).

ذكر فيه: الحقوق التي تجب على العبد رعايتها، وذكر نبذة من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب التي ينبغي للعبد أن يتحلَّى بها.
ومن غرس في قلبه الاعتقاد الصحيح والإيمان الصادق فلا بدَّ أن يُنبِت ذلك الأقوال والأعمال الزاكية.

إِنَّ الْأُصُولَ الطَّيِّبَةَ لَهَا فُرُوعٌ زَاكِيَةٌ^(١)

وهذه جادة مسلوكة عند جمع من المصنِّفين في اعتقاد أهل السُّنَّة، كما تراه عند المُزَنِّي في «شرح السُّنَّة»^(٢)، وأبي بكر الإسماعيلي في «اعتقاد أئمة الحديث»^(٣)، وابن

(١) «ديوان أبي العتاهية» (ص ٤٨٧).

(٢) «شرح السنة» (ص ٩٠).

(٣) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص ٧٩).

بطّة في «الشرح والإبانة على أصول السُّنة والديانة المعروف بالإبانة الصغرى»^(١)، وأبي عثمان الصّابونيّ في كتاب «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»^(٢)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الواسطية»^(٣)، تراهم يُبّهون في هذه المصنّفات في الاعتقاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من التّحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب. ومنهج أهل السُّنة والجماعة في هذا الباب منهجٌ منضبطٌ بالكتاب والسُّنة وما كان عليه سلف الأُمّة كحالهم في الاعتقاد.

(نُوحِدُ الْقَهَّارَا): أعظم الحقوق: حقُّ الله عَزَّوَجَلَّ، وحقُّه: توحيده، قال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في حديث معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في «الصّحيحين»: «حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(٤).

(وَتَتَّبِعُ الْمُخْتَارَا): فقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بذلك، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

[الأعراف: ١٥٨].

وهذان هما الشّرط في قبول الأعمال:

- الإخلاص لله، قال تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].
- واتباع الرّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا

(١) «الشرح والإبانة على أصول السُّنة والديانة - الإبانة الصغرى» (ص ٢٠٦).

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص ١٠٦).

(٣) «الواسطية» (ص ١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٣٧٣)، ومسلم في «الصحيح» (٣٠).

فَهَوَرَدُّ»^(١).

وقد جَمَعَ هَٰذِينَ الشَّرَطَيْنِ: قوله **تَعَالَى**: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الفضيل بن عياض **رَحِمَهُ اللَّهُ** في قوله **تَعَالَى**: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْمَلُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلْك: ٢٠]: (أخلصه وأصوبه)، قيل له: (وما أخلصه وأصوبه؟) قال: (إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكون صوابًا لم يُقْبَل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقْبَل، حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: إذا كان لله، والصَّواب: إذا كان على السُّنَّة)^(٢).



(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٧١٨)، وهو في البخاري معلقًا (فتح الباري ٣١٧/١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (٢٢) (ص ٥٠)، والثعلبي في تفسيره «الكشف

والبيان عن تفسير القرآن» (٢٧ / ٩١).

قال المصنف وفقه الله:

حق النبي صلى الله عليه وسلم:

٢- تعظيمنا للمصطفى ٨٣ بلا غلو أو جفا



قال الشارح وفقه الله:

بعد حق الله تعالى: يأتي حق النبي صلى الله عليه وسلم.

وليس يخفى أن حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته هي أعظم الحقوق وأشرفها بعد حقه جل وعلا.

وحقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته كثيرة.

أصل هذه الحقوق ورأسها: الإيمان به صلى الله عليه وسلم، بشهادة أن محمدًا رسول الله. ومعناها كما سبق: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن حقوقه صلى الله عليه وسلم: محبته، فهي من أعظم واجبات الدين، فيجب على كل مسلم أن يحب هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم محبة تفوق محبة النفس، والولد، والوالد، والناس أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وفي «الصحيحين» عنه صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ

إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٥)، ومسلم في «الصحيح» (٤٤).

وَمِنْ حَقْوَقِهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: الإِكْثَارُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ مَطْلَقًا، وَفِي الْمَوَاضِعِ الْمُقَيَّدَةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الشَّرِيعَةِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَمِنْ حَقْوَقِهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: تَعْظِيمُهُ وَتَوْقِيرُهُ، فَقَدْ أَمَرَ اللّٰهُ **عَزَّوَجَلَّ** بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]، فَهُوَ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حَقِيقٌ أَنْ يُعْظَمَ وَيُجَلَّ وَيُعَامَلَ مِنَ التَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ بِمَا يَلِيقُ بِهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ تَعْظِيمِهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فِي شَيْءٍ أَنْ يُرْفَعَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ الَّتِي أَنْزَلَهُ اللّٰهُ إِلَيْهَا، بَأَنْ يُخْلَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ أَوْ حَقُوقِ الْأُلُوْهِيَّةِ، فَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّعْظِيمِ الشَّرْعِيِّ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْمُنَاقَظَةِ وَالْمُحَادَّةِ لَهُ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَقَدْ نَهَانَا **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَنِ الْغُلُوِّ عَمُومًا، وَنَهَانَا عَنِ الْغُلُوِّ فِيهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** خُصُوصًا، فَقَالَ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: (عَبْدُ اللّٰهِ وَرَسُولُهُ)»^(١)، فَهُوَ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عَبْدٌ لِلّٰهِ لَا يُعْبَدُ، وَرَسُولٌ لَا يُكْذَبُ، بَلْ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ. وَثُمَّ فَرَّقَ عَظِيمٌ بَيْنَ حَقِّ اللّٰهِ **عَزَّوَجَلَّ** وَحَقِّ نَبِيِّهِ **صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - حَقِّ الْأُلُوْهِيَّةِ وَحَقِّ

النُّبُوَّةِ -، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالَى** فِي «النُّونِيَّةِ»^(٢):

لِلّٰهِ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ
لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ

فعلى المسلم:

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٤٥).

(٢) «نونية ابن القيم الكافية الشافية» (٣/ ٨٠٦).

- أن يسلك في محبته ﷺ وتعظيمه سبيل أهل الاعتدال، وهو ما كان عليه الصّحابة والسلف الصّالح.

- وأن يحذر من أن يدخل عليه الخلل من جهتين:
إحداهما: الغلو، ومن مظاهره: إضافة شيء من صفات الربوبية أو حقوق الألوهية إليه ﷺ.

والأخرى: الجفاء، بضعف محبته، أو عدم تعظيم سُنّته، أو الإعراض عن تعلّم سيرته، أو انتقاص أصحابه وأهل بيته، أو الإقبال على البدع، أو عدم الصلاة عليه إذا ذكر ﷺ.

هذا قوله:

٢- تَعْظِيمُنَا لِلْمُصْطَفَى ٨٣ بِـلَا غُلُوٍّ أَوْ جَفَا



قال المصنف وفق الله:

حق الصحابة:

- ٣- نُؤْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ٨٤ وَالْحُبِّ وَالتَّشْلِيمِ
٤- لِأَلِهِ وَصَحْبِهِ ٨٥ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ
٥- سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ ٨٦ رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ
٦- نَكُفُّ عَمَّا شَجَرَ ٨٧ يَبْنِيهِمْ وَمَا جَرَى



قال الشارح وفق الله:

- ٣- نُؤْمِنُ بِالتَّكْرِيمِ ٨٤ وَالْحُبِّ وَالتَّشْلِيمِ
٤- لِأَلِهِ وَصَحْبِهِ ٨٥ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ

(لأله): من عقيدة أهل السنة والجماعة: أنهم يحبون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويتولونهم - من الموالاة وهي المحبة والنصرة -، ويحفظون فيهم وصية النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خم - وهو ماء بين مكة والمدينة -: «أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»^(١)، أي اذكروا خوفه إن أضعتم حقهم، واذكروا رحمته إن قمتم بحقهم، وهذا الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم هو في «صحيح مسلم»، وقد زاد عليه أهل البدع روايات منكرة اختلقوها، عظموا بها يوم الغدير وصيروه عيداً يُحتفل به! وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله.

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٤٠٨).

وأهل البيت وآل النبي ﷺ هنا بمعنى واحد، وهو ينطبق على ثلاثة:
 الأول: ذريته ﷺ، ولم يبق من ذريته إلا من كان من نسل فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
 والثاني: أزواجه ﷺ، وهُنَّ أمّهات المؤمنين، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، والسَّيَاق كُلُّهُ في نساء النبي ﷺ بالنَّصِّ الصَّريح.

وزوجاته ﷺ قد جَمَعَهُنَّ الشَّيْخُ غَالِي بن المختار فال الأنصاريُّ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «نَظْمِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ»^(١) في قوله:

أَوَّلُهُنَّ حِيَّتْ تَزْوِجُهُ خَيْرُ النِّسَاءِ أُمَّنَا خَدِيجَهُ
 فَسُودَةُ عَائِشَةُ فَحَفْصَةُ فَرَيْنَبُ فَهْنُ دُثْمَ بَرَّةُ
 أَيْ زَيْنَبُ فَأُمُّنَا جُوَيْرِيَةُ فَرَمْلَةُ صَفِيَّةُ النَّصِيرِيَةُ
 فَأُمُّنَا أُخْتُ بَنِي هَلَالٍ مَيْمُونَةُ صَاحِبَةُ الْكَمَالِ

والثالث: المؤمنون من بني هاشم، وهم قبيلته ﷺ الأَدْنَوْنَ.

فوصف (آل البيت) يصدق على هؤلاء الثلاثة، وهم:

- ذريته ﷺ.

- وأزواجه أمّهات المؤمنين.

- والمؤمنون من بني هاشم.

وقد جَمَعَهُمُ النَّاطِمُ في قوله:

(١) «نظم أمهات المؤمنين» الأبيات (١٤-١٧).

أَلْ نَبِيَّا الْكَرِيمِ إِن تَسَلْ زَوْجَاتُهُ، وَهَاشِمٌ، وَمَنْ نَسَلْ

(وَهَاشِمٌ): أي بنو هاشم.

(وَمَنْ نَسَلْ): مَنْ نَسَلْ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَي ذُرِّيَّتُهُ.

وهذا المعنى هو المراد بـ(الآل) هنا.

ويُطْلَقُ (آل النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إطلاقاً أعم: على أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على دينه،

كما سبق بيان ذلك في مقدمة المنظومة.

لكن المقصود هنا بـ(الآل): ذُرِّيَّتُهُ، وأزواجه، والمؤمنون من قرابته بني هاشم.

ولهم ميزتان:

إحداهما: المحبة في الإسلام.

والأخرى: المحبة لقرباتهم من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذلك بمحبتهم، والصلاة عليهم، والدعاء لهم، وتقديهم، وإكرامهم.

وقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كما في «الصحيحين» -: (والذي نفسي بيده،

لقربة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي) (١).

وفي «البخاري» عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ) (٢).

وروى ابن إسحاق في «السيرة» عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والله،

لإسلامك يوم أسلمت كان أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٧١١)، ومسلم في «الصحيح» (١٧٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٧١٣).

عرفتُ أنَّ إسلامك كان أَحَبَّ إلى رسول الله ﷺ مِنْ إسلام الخطَّاب لو أسلم^(١).

قال: (وَصَحْبِهِ):

الصَّحابي: مَنْ لقي النَّبِيَّ ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.
وبذكر الصَّحابة تتزيّن المجالس، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (زيّنوا مجالسكم بذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)^(٢).

وقد جاء في فضلهم آيات كثيرة:

- ففي سورة الفتح تجد الثناء على الصَّحابة في كلِّ صفحةٍ مِنْ صفحاتها، في الصَّفحة الأولى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

- وفي الصَّفحة الثانية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

- وفي الصَّفحة الثالثة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، زكَّاهم في باطنهم بعد أن زكَّى ظاهرهم.

- وفي الصَّفحة الرَّابعة: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٣).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤ / ٣٨٠).

- وفي الصفحة الأخيرة: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، لو أنك رأيت صحابيًا فإمّا أن تراه راکعًا أو ساجدًا هذه حالهم، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾.
- ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ﴾ [الفتح: ٢٩] أي صغاره ﴿فَتَأْزِرُهُ، فَاسْتَفَظَتْ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩] يعني قوي وعُلُظ واستوى على سيقانه.
- وهذا مثلُ ضربه الله للصحابة، فهم كالزّرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فالله عزّ وجلّ أثنى على صحابة نبيّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التّوراة والإنجيل قبل أن يخلّقوا.
- ومن الشّاء عليهم في القرآن: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ الْأُولُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِّن بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ﴾ [الحديد: ١٠].
- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].
- ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨، ٩].
- ومن السنّة:

- ما في الصحيحين: «خَيْرُ النَّاسِ: قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» (١).
- وفي الصحيحين أيضًا: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (٢).

وهذا حديثٌ عظيمٌ يتحيرُ العقلُ في تصوُّرِ حقيقة ما فيه وإدراكه، جبَلُ أُحُدٍ طوله: سبعة كيلومتر تقريبًا، وعرضه: ما بين اثنين كيلو متر إلى ثلاثة، وارتفاعه: أكثر من ألف متر، إذا كان هذا طولُ الجبل وعرضه وارتفاعه فكم وزنه؟! لو أن أحدًا أنفق هذا القدر العظيم والنَّفقة كُلُّها من الذهب ما بلغ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.

والمُدُّ: ملء الكفين مجموعتين غير مقبوضتين ولا مبسوطتين كما قال الناظم:

وَالْمُدُّ: حَفْنَةٌ بِحَفْنَةِ الرَّجُلِ لَيْسَ بِقَابِضٍ لَهَا وَلَا مُجِلٍّ

ونصف المُدِّ: ملء كفٍّ واحدة أي أقل من ربع كيلو من الأرز تقريبًا.

فالأصحابيُّ لو تصدَّق بملء كفٍّ واحدة فأجره أعظم من ذاك الذي أنفق مثل جبل أُحُدٍ والنفقة كلها من الذهب، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠].

ثمَّ هذا الخطاب متوجِّهٌ إلى متأخري الإسلام من الصحابة، فلو أنفق أحد متأخري الإسلام من الصحابة مثل أُحُدٍ ذَهَبًا ما بلغ مُدًّا أَحَدٌ مُتَقَدِّمِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ، فما الظنُّ في فضيلة الصحابة على من جاء بعدهم؟!

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٦٥٢)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٦٧٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٤٠).

وقد استقر أمر أهل السنة والجماعة في المفاضلة بين الصحابة على أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وهذا الذي أراده بقوله:

٥- سُبْحَانَهُ فَضَّلَهُمْ ٨٦ رَبِّي كَمَا اسْتَخْلَفَهُمْ

فأفضلهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما -كما في «صحيح البخاري»-: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَفْضُلُ بَيْنَهُمْ»^(١).

وقال علي رضي الله عنه: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ»^(٢). قال الذهبي في «تاريخ الإسلام» مُعَلِّقًا: (هذا والله العظيم قاله علي رضي الله عنه، وهو متواتر عنه، لأنه قاله على منبر الكوفة، فقاتل الله الرافضة، ما أجهلهم!)^(٣).

وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي»^(٤).

وهذا قول الناظم وَفَّقَهُ اللَّهُ:

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٦٧١)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٦٤٨) واللفظ له.

(٣) «تاريخ الإسلام» (٣/ ١١٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٦٧٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٤٠).

٦- نَكَفُ عَمَّا شَجَرَا ٨٧ يَيْنَهُمْ وَمَا جَرَى

فالواجب: الشكوت والكفُّ عَمَّا شَجَرَ بينهم.

وقد قال عمر بن عبد العزيز **رَحِمَهُ اللَّهُ** في ذلك: (تلك دماءٌ طَهَّرَ اللهُ منها يدي، فلا أُحِبُّ أَنْ أَخْضِبَ بِهَا لِسَانِي) ^(١).

وسُئِلَ بعضهم عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، فقال: (تلك أُمَّةٌ قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تُسألون عَمَّا كانوا يعملون) ^(٢).

قال القحطاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في «نونيته» ^(٣):

دَعَّ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعَى	بُسُيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
فَقَتِيلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتِلُهُمْ لَهُمْ	وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ
وَاللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا	تَحْوِي صُدُورُهُمْ مِنَ الْأَضْغَانِ

وهذه الأخبار لا تؤخذ من كُتُبِ التَّارِيخِ، وَإِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنْ صَحِيحِ السُّنَّةِ، قال

القحطاني **رَحِمَهُ اللَّهُ** ^(٤):

لَا تَقْبَلَنَّ مِنَ التَّوَارِيخِ كُلِّ مَا	جَمَعَ الرُّوَاةُ وَخَطَّ كُلُّ بَنَانٍ
ارَوْ الْحَدِيثَ الْمُتَّقَى عَنْ أَهْلِهِ	سَيِّمًا أُولَى الْأَخْلَامِ وَالْأَسْنَانِ
كَابِنِ الْمُسَيِّبِ وَالْعَلَاءِ وَمَالِكِ	وَاللَّيْثِ وَالزُّهْرِيِّ أَوْ سُفْيَانَ

(١) «تفسير القرطبي» (٣٢٢ / ١٦)، و«منهاج السنة النبوية» (٢٥٤ / ٦).

(٢) «تفسير القرطبي» (٣٢٢ / ١٦)، و«منهاج السنة النبوية» (٢٥٤ / ٦).

(٣) «نونية القحطاني» الأبيات (١٧٤-١٧٦).

(٤) «نونية القحطاني» الأبيات (١٨٠-١٨٢).

وهي فتنَةٌ وقعت وانقضت، فما الذي يُدخلك فيها؟!
والذين يخوضون في هذا الباب لا يكاد الواحد منهم يسلم قلبه للصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
بل يخرج غالبًا وقد تَغَيَّرَ قلبه على بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
لذلك أطبقت كُتُب أهل السُّنَّة والجماعة على لزوم الكَفِّ والإعراض والإمساك
وعدم الخوض، كما قال:

٦- نَكُفُّ عَمَّا شَجَرَ ٨٧ يَيْنَهُمْ وَمَا جَرَى

والصَّحابة كلُّهم عدول، وهذا محلُّ إجماع، حكاه ابن عبد البرّ، وابن الصَّلاح،
والنَّوويّ، وابن حجر، وغيرهم. فالواجب: محبَّتُهم، والثناء عليهم، وذِكْرُ محاسنهم.
قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: (كان السَّلف يُعلِّمون أولادهم حُبَّ أبي بكرٍ وعمر كما
يُعلِّمونهم السُّورة مِنَ الْقُرْآنِ) ^(١).

وما أجمل تلك الكلمة التي خَتَمَ بها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كلامه على
معتقد أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة، وهي مِنْ محاسن «العقيدة الواسطية»، قال:
(وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يَقِينًا أَنََّّهُمْ
خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ، لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنََّّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ^(٢).

٤- لَا إِلَهَ وَصَاحِبِهِ ٨٥ وَزَوْجِهِ وَحِزْبِهِ

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٧/ ١٣١٣).

(٢) «الواسطية» (ص ١٢٢).

(وَرَوْجِهِ): أزواجه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مِنْ آلِهِ - كما سبق -، فهو مِنْ عَظْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، خَصَّهِنَّ بِالذِّكْرِ لشرفهنَّ وعظيم منزلتهنَّ.

(وَحِزْبِهِ): المقصود: أتباعه على دينه إلى يوم القيامة، وهو مِنْ عَظْفِ الْعَامِّ عَلَى الْخَاصِّ، وسيأتي قريباً الكلام على حقوق المسلمين عموماً، وما يجب لهم مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ.



قَالَ الْمُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

حَقُّ الْوَالِدَيْنِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَقَارِبِ:

٧- نَبَرُّ وَالِدَيْنَا ٨٨ وَالْعُلَمَاءَ أَلَدَيْنَا

٨- وَالصَّالِحَ الْوَلِيَّ ٨٧ الْمُؤْمِنَ التَّقِيَّ

٩- وَنُكْرِمُ الْإِخْوَانَ ٨٨ وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ



قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

٧- نَبَرُّ وَالِدَيْنَا ٨٨ وَالْعُلَمَاءَ أَلَدَيْنَا

(نَبَرُّ وَالِدَيْنَا): حَقُّ الْوَالِدَيْنِ أعظم الحقوق بعد حَقِّ اللَّهِ **تَعَالَى** وحَقِّ رَسُولِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وقد قرَنَ اللَّهُ **تَعَالَى** حَقَّ الْوَالِدَيْنِ بحَقِّهِ:

قال **تَعَالَى**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال **تَعَالَى**: ﴿هَٰذَا شُكْرُ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

وأخبر النبي ﷺ أَنَّ رِضا الله حاصلٌ للعبد إذا رَضِيَ عنه والداه، وأنَّ سَخَطَهُ تَعَالَى حالٌ بالعبد إذا أسخط والديه، قال ﷺ: «رِضا الرَّبِّ في رِضا الوالِدَيْنِ، وسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالِدَيْنِ»^(١).

وفي حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِيٍّ يَقْرَأُ فَقُلْتُ: (مَنْ هَذَا؟) فَقَالُوا: (هَذَا حَارِثَةُ بِنُ النُّعْمَانِ)» فقال رسول الله ﷺ: «كَذَلِكَ الْبِرُّ، كَذَلِكَ الْبِرُّ»، وكان أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ^(٢).

قال: (وَالْعُلَمَاءُ لَدَيْنَا): أهل العلم لهم حقٌّ عظيمٌ على الأمة، وقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُمَا اللهُ: أَنَّهُ قال: (الشَّيْخُ وَالْمُعَلِّمُ وَالْمُؤَدِّبُ أَبُو الرُّوحِ، والوالد أبو الجسم)^(٣).

وشاهده: في القرآن، في قراءة أَبِي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "النبيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُوَ أَبُّ لَهُمْ".

وهذا المعنى يؤدِّيه قوله تَعَالَىٰ في تمام الآية: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، إذ ثبوت أمومة أزواجه لهم فرعٌ عن ثبوت أبوته^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (١٨٩٩)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٢/ ٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٥٣٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٧٦)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩١٣) (٢/ ٥٨٢).

(٣) «مدارج السالكين» (٣/ ٧٠).

(٤) ينظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٧٠).

وشاهده في السُّنة: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ»^(١).
فالعلماء لهم حقٌّ عظيمٌ على الأمة، أثبتته الشريعة وأمرت برعايته.
وقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا»^(٢) يعني حقّه.

٨- وَالصَّالِحُ الْوَلِيُّ ٨٩ الْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ

أهل السُّنة والجماعة يَبْرُونَ الصَّالِحَ الْوَلِيَّ، وهو المؤمنُ التَّقِيُّ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا
كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا، قَالَ **تَعَالَى**: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

ومراتبهم في الولاية بحسب مراتبهم في الإيمان والتقوى، لا بنسبٍ ولا بدعوى، ﴿إِنَّ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُ﴾ [الحجرات: ١٣].

فَمِنْ حَقِّهِمْ: محبتُّهم، والانتفاعُ بعلمهم، والتَّأْسِي بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى،
وَتَرْكُ معاداتهم، قَالَ اللَّهُ **تَعَالَى** فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ
بِالْحَرْبِ»^(٣).

٩- وَنُكْرِمُ الْإِخْوَانَ ٩٠ وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانُ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٤٠٩)، وأبو داود في «السنن» (٨)، والنسائي في «المجتبى»
(٤٠)، وابن ماجه في «السنن» (٣١٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٣٠).
(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢٧٥٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»
(١٠١) (١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٠٢).

(وَنُكْرِمُ الْإِحْوَانَ): وذلك بمعاملتهم بالحُسنَى، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم. ومن كان من الرّحم فصلتك له سببٌ في أن يصلك الله برحمته ولطفه وإحسانه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: (مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ)» (١).

(وَالْأَهْلَ): قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ: خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» (٢)، فخير النَّاسِ وأفضلهم: خيرهم عشرةً لأهله، يصلهم ببرّه وإحسانه، فأهلك هم أحقُّ النَّاسِ بإحسانك.

(وَالْحَيْرَانَا): فقد أوصى بهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» (٣).

وقال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: (مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟) قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» (٤).



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٨٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٥٥) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٨٩٥)، وابن ماجه في «السنن» (١٩٧٧)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٨٥) (١/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠١٩)، ومسلم في «الصحيح» (٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠١٦) من حديث أبي شريح رضي الله عنه، ومسلم في «الصحيح» (٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

قال المصنف وفقه الله:

لزوم الجماعة، وطاعة ولي الأمر:

- ١٠- وَنَلْزَمُ الْجَمَاعَةَ ٩١ وَالنُّصْحَ وَالْإِطَاعَةَ
١١- لِأَوْلِيَاءِ الْأُمْرِ ٩٢ فِي مَنْشَطٍ أَوْ عُسْرٍ
١٢- فِي غَيْرِ مَا عَصِيَانٍ ٩٣ وَلَنَدْعُ لِلشُّلْطَانِ



قال الشارح وفقه الله:

من الحقوق: حق الجماعة وأولياء الأمر.

وحقهم: لزوم الجماعة، والسمع والطاعة في غير معصية.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وفي «الصحيحين» عن عبادة بن الصّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيْمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا

وَمَكْرَهِنَا) أي في الأمر الذي إذا أُمر به الإنسان نَشِطَ له لَأَنَّهُ يَلَائِمُهُ، وفي الأمر الذي إذا

أُمر به الإنسان لم ينشط له لكونه لا يلائمه.

قال: (وَعُسْرُنَا وَيُسْرُنَا): أي في حال الفقر والغنى.

قال: (وَأَثَرَةٌ عَلَيْنَا): أي ولو اختصّ ولي الأمر نفسه بأُمُور الدُّنْيَا دوننا، ظلمًا وتعدّيًا،

فالواجب: الصبر.

قال: (وَأَلَّا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ): وذلك بترك الخروج، وترك شق عصا المسلمين، حتّى

لا يتسبّب ذلك في سفك الدماء.

قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا» أي ظاهرًا يَجْهَرُ ويُصَرِّحُ به «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ»^(١) أي نصٌّ صريحٌ مِنَ الْقُرْآنِ أو السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ لا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ فِي أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ كُفِّرَ.

ففي الحديث: وجوب السَّمْعِ والطَّاعَةِ في غير معصية.

وقد قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - كما في «الصَّحِيحِينَ» -: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٢).
وقد أجمع العلماء على وجوب السَّمْعِ والطَّاعَةِ في غير معصية، وعلى تحريمها في معصية.

وقد قال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ: (لا يزال النَّاسُ بخير ما عَظَّمُوا السُّلْطَانَ والعلماء، فَإِنْ عَظَّمُوا هَٰذِينَ أَصْلَحَ اللَّهُ دَنِيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ، وَإِنْ اسْتَخَفُّوا هَٰذِينَ أَفْسَدَ دَنِيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ)^(٣).

وَمِنْ حَقِّهِمْ عَلَى الرَّعِيَةِ: النَّصْحُ لَهُمْ، كَمَا ذَكَرَ النَّازِمُ.

قال النَّبِيُّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: (لِمَنْ؟) قال: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٠٥٥)، ومسلم في «الصحيح» (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧١٤٤)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٣٩).

(٣) «تفسير القرطبي» (٥ / ٢٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٥).

والنصيحة تكون سرًّا برفق، يدلُّ لذلك: قوله **تَعَالَى** لموسى وهارون **عَلَيْهِمَا السَّلَامُ**:

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

وفي «الصَّحِيحِينَ»: أَنَّهُ قِيلَ لِأَسَامَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (أَلَا تَدْخُلُ عَلَىٰ عَثْمَانَ فَتَكَلِّمُهُ؟!) فقال: (أَتُرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِّمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ؟! والله لقد كَلَّمْتُهُ فيما بيني وبينه ما دون أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ) ^(١) يعني ما أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِي مَا يَشِيرُ فَتْنَةً أَوْ شَرًّا.

وقد أخرج الإمام أحمد، عن عياض بن غَنْمٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ فَلَا يُبْدِ لَهُ عِلَاقِيَّةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قِيلَ مِنْهُ فَذَٰكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ آدَى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ» ^(٢).

وَمِنْ النَّصِيحِ لَهُمْ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَعَدَمُ الدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ، كَمَا ذَكَرَ النَّازِمُ.

وقد جاء عن غير واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: (لَوْ كَانَ لَنَا دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ لَدَعَوْنَا بِهَا لِلْسُلْطَانِ)، مِنْهُمْ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ ^(٣).

وقد قيل للفضيل: (فَسِّرْ لَنَا هَذَا) فقال: (إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَعُدْني، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَحَ فَصْلَحَ بِصِلَاحِهِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ، فَأَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمُ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٢٦٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٨٩).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٥٣٣٣)، والحاكم في «المستدرک» (٥٢٦٩)، وابن أبي عاصم في

«السنة» (١٠٩٨، ١٠٩٧، ١٠٩٦)، وصححه الألباني بمجموع طرقه في «ظلال الجنة»

(٥٢٣/٢).

(٣) ينظر: «مجموع الفتاوى» (٣٩١ / ٢٨).

نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا، لأنَّ ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين^(١).

وإذا حصل منهم فسق أو جور فإنه لا يجوز الخروج عليهم بذلك، لأنه يترتب على الخروج عليهم من الفوضى والفساد أضعافُ أضعافٍ ما يحصل من جورهم. وقد قال النبي ﷺ كما في «الصَّحِيحِينَ» من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَيَمُوتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٢).

وعامةُ أحاديث هذا الباب تجدها في «الصَّحِيحِينَ» أو في أحدها، فالمسألة من المُحَكَّمات، وقد قال الإمام أحمد: (لا يحلُّ قتال السُّلطان ولا الخروج عليه لأحدٍ من النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فهو مبتدعٌ على غير السُّنَّة والطَّرِيقِ)^(٣).



(١) أخرجه البرهاري في «شرح السنة» (ص ١١٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٠٥٤)، ومسلم في «الصحيح» (١٨٤٩).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٧٥).

قال المصنف وفق الله:

الولاء والبراء:

١٣- وَالْمُسْلِمِينَ وَالْإِيمَانِ ٩٤ وَالْكَافِرِينَ عَادِهِمْ

١٤- بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ ٩٥ وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ



قال الشارح وفق الله:

أجمع العلماء على وجوب الولاء للمؤمنين، وتحريم الولاء للكافرين.

والولاء: المحبة والنصرة، والمقصود: محبة المؤمنين من أجل إيمانهم من أي بلد كانوا، في أي زمان وأي مكان، ونصرتهم، والنصح لهم، ونحو ذلك من حقوق المؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي

الله»^(١).

١٣- وَالْمُسْلِمِينَ وَالْإِيمَانِ ٩٤ وَالْكَافِرِينَ عَادِهِمْ

١٤- بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ ٩٥ وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٨٥٢٤)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٢/

(بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ): هذا يرجع إلى موالاة المؤمنين، (وَالْبُغْضِ وَالْإِنْصَافِ): هذا يرجع إلى مُعاداة الكافرين، فهو على اللَّفِّ وَالشَّرِّ الْمُرتَّبِ.

(بِالْحُبِّ وَالْإِسْعَافِ): من مظاهر موالاة المؤمنين: محبتهم من أجل إيمانهم وطاعتهم، وهذه المحبة واجبة على كل مسلم.

في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا» (١).

وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ: محبة الخير لهم، والشُّرُورُ بَنَصْرِهِمْ، وَالْحُزْنُ وَالتَّأَلُّمُ لِمُصَابِهِمْ، مِنْ أَيِّ بَلَدٍ كَانُوا، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، فرابطة الإيمان فوق كل رابطة.

في «الصَّحِيحِينَ» عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (٢).

قال: (وَالْإِسْعَافِ): من مظاهر موالاة المؤمنين: نُصْرَتُهُمْ، وَمُسَاعَدَتُهُمْ، وَإِعَانَتُهُمْ، وهو معنى (الْإِسْعَافِ).

ف(الإسعاف): الإعانة وقضاء الحاجة، يُقال: (أَسْعَفَهُ بِحَاجَتِهِ) إِذَا قَضَاهَا لَهُ.

في «صحيح البخاري» عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» (٣).

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٥٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٣)، ومسلم في «الصحيح» (٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٤٤٣).

قال: (وَالْبُغْضُ وَالْإِنْصَافُ): هذا يرجع إلى معاداة الكافرين، ببغضهم والبراءة منهم.

قال الله تَعَالَى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

(وَالْإِنْصَافُ): أي بالقسط، وعدم الظلم.

قال الله تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].



قال المصنف وفقه الله:

مكارم الأخلاق:

- ١٥- وَلِتَحْفَظِ اللِّسَانَ ٩٦ وَطَهِّرِ الْجَنَانَ
١٦- وَاصْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ ٩٧ وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ
١٧- سَهْلًا حَلِيمًا رَاحِمًا ٩٨ جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا
١٨- مَكْرَامُ الْأَخْلَاقِ ٩٩ مَفَاتِيحُ الْأَرْزَاقِ
١٩- وَتَرْفَعُ الْإِنْسَانَا ١٠٠ وَتُقَلِّلُ الْمِيزَانَ



قال الشارح وفقه الله:

ختم بالحث على التحلي بالأخلاق الحسنة، وهذا من الثمرة العملية للعلم النافع، كأنه يقول لك: هذا الاعتقاد الصحيح غرس طيب، فلا بد أن تكون ثمرته طيبة.

١٥- وَلِتَحْفَظِ اللِّسَانَ ٩٦ وَطَهِّرِ الْجَنَانَ

(وَلِتَحْفَظِ اللِّسَانَ): أي من الحرام، من غيبة ونميمة وغير ذلك.

فقد قال النبي ﷺ كما في الصحيحين: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١).

وفيهما: قوله ﷺ: «المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠١٨)، ومسلم في «الصحيح» (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٠).

وفيهما: قوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(١).

ولو لم يكن في إطلاق اللسان خصلة تُذمُّ إِلَّا طول المناقشة والحساب يوم القيامة لكان الواجب على كل عاقل: أن يحفظ لسانه ويصونه عن الحرام.
قال الشاعر:

مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوتِي مَرَّةً وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا
وقال آخر:

وَلَوْ يَكُونُ الْقَوْلُ عِنْدَ النَّاسِ مِنْ فِضَّةٍ بَيَضَابِلَا التِّبَاسِ
إِذَنْ لَكَانَ الصَّمْتُ مِنْ عَيْنِ الذَّهَبِ فَالزَّمْ - هَذَاكَ اللَّهُ - آدَابَ الطَّلَبِ
(وَطَهَّرِ الْجَنَانَا): أي القلب من الأمراض الباطنة: مِنْ حَقْدٍ، وَعُجْبٍ، وَتَكَبُّرٍ، ونحوها، لأن القلب محل نظر الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم^(٢).

وفي «الصَّحِيحِينَ» أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤٧٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٥٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٢)، ومسلم في «الصحيح» (١٥٩٩).

وَالنَّجَاةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُلِّقَتْ عَلَى الْقَلْبِ السَّلِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

١٦- وَاصْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ ٩٧ وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ

(وَاصْبِرْ لِأَجْلِ الْحَقِّ): فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِالصَّبْرِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ أَهْلِ الصَّبْرِ، يَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ وَيُوفِّقُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وَجَعَلَ الصَّبْرَ طَرِيقًا لِلْإِمَامَةِ فِي الدِّينِ، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ مِضَاعِفَةِ أَجْرِ الصَّابِرِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤].

وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الصَّبْرُ لِلَّهِ، لَا لِيُقَالَ: (صَابِر)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

فِيصْبِرُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَعَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَعَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ الْمُؤَلِّمَةِ وَأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، فَلَا يَجْزِعُ وَلَا يَتَسَخَّطُ.

وَمَنْ وَفَّقَ لِلصَّبْرِ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ مَهْدِيًّا مِنْ رَبِّهِ، مُوَفَّقًا لِلصَّوَابِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(١).

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (٢٢٣).

(وَكُنْ جَمِيلَ الْخُلُقِ): فَإِنَّ جَمَالَ خُلُقِ الْمَرْءِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ عُنَاوَانُ سَعَادَتِهِ وَفَلَاحِهِ، فَمَا اسْتَجْلَبَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمِثْلِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَالْأَدَبِ الْكَرِيمِ. وَدِينَنَا كُلُّهُ خُلُقٌ، فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي جَمَالِ الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ. وَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ إِنَّمَا بُعِثَ لِيَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»، وَفِي رَوَايَةٍ: «لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» (١).

ولعظيم منزلة حُسن الخُلُقِ كَانَ مِنْ دَعَائِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» (٢).

وَإِذَا وَفَّقَ الْمُسْلِمَ إِلَى أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ الْقَوِيمَةِ وَأَدَابِهِ الْكَرِيمَةِ نَالَ خَيْرًا عَظِيمًا وَفَضْلًا عَمِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الْأَرْزَاقِ
فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ، وَذَا عِلْمٌ، وَذَاكَ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ

خصوصًا طلبة العلم

وَالْعِلْمُ إِنْ لَمْ تَكْتَفِهُ شَمَائِلُ تَغْلِيهِ كَانَ مَطِيَّةَ الْإِخْفَاقِ
لَا تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ مَا لَمْ يُتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقِ

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم في

«المستدرک» (٤٢٢١)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٢٠٧) (١ / ١١٨).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٧٧١).

١٧- سَهْلًا حَلِيمًا رَاحِمًا ٩٨ جَلَدًا كَرِيمًا حَازِمًا

(سَهْلًا): في «المُسْنَد» وحسنه مُحَقِّقوه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيْنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ»^(١).

«سَهْلٍ»: أي سهلِ المعاملةِ والخُلُقِ، مُيسِّرٍ على النَّاسِ.

(حَلِيمًا): فـ(الحِلْم) خَصْلَةٌ يُحِبُّهَا اللهُ، في «صحيح مسلم» أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال لأشجَّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ، وَالْأَنَاءَةُ»^(٢).

قال حاتم الطائي:

تَحَلَّمْ عَنِ الْأَدْنَيْنِ وَاسْتَبِقْ وَدَّهْمَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمَ حَتَّى تَحَلَّمَ

أي كُنْ حَلِيمًا عَلَى أَقَارِبِكَ وَمَنْ تُعَاشِرُهُ وَتُصَاحِبُهُ وَاسْتَبِقْ حُبَّهُمْ لَكَ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَاصْطِنِعِ الْحِلْمَ، فَالْشَّأْنُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ»^(٣).

(رَاحِمًا): أي كُنْ رَاحِمًا تُعَامِلِ النَّاسَ بِالرَّحْمَةِ، لِتَفُوزَ بِرَحْمَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ

مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (٣٩٣٨)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٩٣٨) (٢/ ٦١١).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٦٦٣)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٣٤٢) (١/ ٦٧٠).

(٤) أخرجه أحمد في «المُسْنَد» (٦٤٩٤)، وأبو داود في «السنن» (٤٩٤١)، والترمذي في «الجامع»

(١٩٢٤)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٢٥) (٢/ ٥٩٤).

وقد كان نبينا ﷺ أرحم الناس، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي مُقابل ذلك: كُنْ (جَلْدًا كَرِيمًا حَازِمًا).

كن (جَلْدًا) قويَّ العزم، صابرًا على المكروه في نيل مطلوبك من الخير لا يثنيك عنه شيء.

وفي الأبيات المنسوبة للشافعي:

وَكُنْ رَجُلًا، عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا وَشِيَمَتِكَ السَّمَا حَةً وَالْوَفَاءُ

(كَرِيمًا): بالمال، تبذله للمحتاجين.

كرِيمًا بِالْخُلُقِ، تُعَامِلُ النَّاسَ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ.

كَرِيمًا بِالْعِلْمِ، تَعْلَمُ النَّاسَ، وَتَبْذِلُ عِلْمَكَ لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ.

كَرِيمًا بِالْجَاهِ، تَسْعَى فِي حَوَائِجِ الْخَلْقِ بِجَاهِكَ.

وَمِنْ عِلَامَاتِ التَّوْفِيقِ: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ كَلَّمَا زَيْدَ فِي مَالِهِ زَادَ بَذْلُهُ وَعَطَاؤُهُ، وَكَلَّمَا زَيْدَ

فِي عِلْمِهِ زَادَ تَوَاضَعُهُ وَزَادَتْ خَشْيَتُهُ وَزَادَ نَشْرُهُ لِلْعِلْمِ، وَكَلَّمَا زَيْدَ فِي جَاهِهِ زَادَ فِي قُرْبِهِ

مِنَ النَّاسِ وَفِي قَضَائِهِ لِحَوَائِجِهِمْ وَتَوَاضَعِهِ لَهُمْ.

(حَازِمًا): ضَابِطًا أَمْرَكَ، آخِذًا فِيهِ بِالثِّقَةِ، حَذِرًا مِنْ فَوَاتِهِ، غَيْرَ مُتَكَاسِلٍ عَمَّا تَنْوِيهِ مِنْ

خَيْرٍ، وَلَا تَكُنْ مَمَّنْ قَالَ فِيهِمُ الشَّاعِرُ:

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدَرَا

ثُمَّ قَالَ:

١٨- مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ ٩٩ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

١٩- وَتَرْفَعُ الْإِنْسَانَا ١٠٠ وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَا

الأخلاق الكريمة مفاتيح الخير والأرزاق في الدنيا والآخرة، وهي ترفع مقام الإنسان عند الله **تعالى** وعند الناس، فقد أخبر النبي **صلى الله عليه وسلم** أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَقَرَنَهُ بِالتَّقْوَى الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ وَصِيَّةٍ، سُئِلَ **صلى الله عليه وسلم** عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «**تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»^(١).

وكلَّما كان المرء أحسن خُلُقًا كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ **صلى الله عليه وسلم**، وَأَقْرَبَ مِنْهُ مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ **صلى الله عليه وسلم**: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**»^(٢).

وَأَخْبَرَ **صلى الله عليه وسلم** أَنَّ صَاحِبَ الْخُلُقِ الْحَسَنِ يَبْلُغُ بِهِ حُسْنَ خُلُقِهِ أَنْ يَكُونَ فِي دَرَجَةٍ مَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ، قَالَ **صلى الله عليه وسلم**: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»^(٣).

قَالَ: (وَتُثْقِلُ الْمِيزَانَا): حُسْنُ الْخُلُقِ أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ **صلى الله عليه وسلم**: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٧٩٠٧)، والترمذي في «الجامع» (٢٠٠٤)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٤٦)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٧٧) (٢/٦٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٠١٨)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٩١) (٢/٤١٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٧٩٨)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧٩٥) (٢/٤٢١).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٧٥١٧)، وأبو داود في «السنن» (٤٧٩٩)، والترمذي في «الجامع» (٢٠٠٣)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٧٦) (٢/٥٣٥).

نسأل الله تَعَالَى أن يهدينا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلّا هو، وأن يصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلّا هو.

قال المصنف وفقه الله:

الخاتمة

- ١- تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّي حَيَّةً لِقَلْبِي
- ٢- حَاوِيَةً الْأُصُولِ مَأْمُولَةَ الْقَبُولِ
- ٣- أَحْيَا بِهَا حَيَاتِي أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي
- ٤- يَا رَبِّ سِرِّ عِلْمَهَا وَشَرِّحَهَا وَفَهَّمَهَا
- ٥- وَارْحَمْ مَنْ اعْتَنَى بِهَا وَاشْرِكُهُ فِي ثَوَابِهَا
- ٦- وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ خَاتِمَةُ الْقَصِيدِ



قال الشارح وفقه الله:

(تَمَّتْ) المنظومة البيضاء (بِحَمْدِ رَبِّي)، حال كونها (حَيَّةً لِقَلْبِي)، و(حَاوِيَةً الْأُصُولِ) أي أصول علم العقيدة، و(مَأْمُولَةَ الْقَبُولِ) من الله، وأن يَكْتُبَ لها البركة والنفع.

(أَحْيَا بِهَا حَيَاتِي) إلى مماتي، و(أَرْجُو بِهَا نَجَاتِي) في الآخرة، والفوز برضا الله والجنة.

(يَا رَبِّ سِرِّ) لجمع المسلمين (عِلْمَهَا وَشَرِّحَهَا) وحفظها (وَفَهَّمَهَا)، (وَارْحَمْ مَنْ اعْتَنَى بِهَا) بحفظ أو استشراف أو شرح أو نشر أو طباعة أو ترجمة أو قراءة أو غير ذلك، (وَاشْرِكُهُ) بوصول همزة القطع لضرورة الشعر (فِي ثَوَابِهَا).
(وَالْحَمْدُ لِلْحَمِيدِ) عَزَّجَلَّ هو (خَاتِمَةُ) هذا (الْقَصِيدِ).

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

أسأل الله أن يرزقنا جميعاً العلم النافع، والعمل الصالح، والإخلاص في القول والعمل، وأن يجزي ناظمها خير الجزاء، وأن يجعل له من أجر مُدارستها أوفر حظاً ونصيب، وأن يديم نفعه ويُجري الخير على يديه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



فهرس الموضوعات

١٦	مقدمة الشرح
١٩	مقدمة النظم
١٩	الحمد والصلاة:
١٩	اسم المنظومة، وموضوعها:
٢٤	مصادر التلقي
٢٩	الأصول الثلاثة
٢٩	الأصل الأول: معرفة العبد ربّه:
٢٩	الأصل الثاني: معرفة العبد دينه:
٢٩	الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه صلى الله عليه وسلم:
٣٦	التوحيد وأنواعه
٣٦	الغاية من خلق الخلق:
٣٦	النوع الأول: توحيد الربوبية:
٣٦	النوع الثاني: توحيد الألوهية:
٣٦	الثالث: توحيد الأسماء والصفات: قاعدة الأسماء والصفات:
٣٧	صفات الله قسمان: ذاتية، وفعلية:
٤٥	من صفاته: كلامه، ومنه: القرآن:
٦٦	حماية جناب التوحيد
٦٧	المناهي اللفظية:

- ٧٨..... الغلو والتساهل في الدين:
- ٨٣..... التبرك والتوسل:
- ٨٩..... تعلّق القلب بغير الله:
- ١٠٧..... مراتب الدين:
- ١٠٧..... المرتبة الأولى: الإسلام: أركانه:
- ١١٠..... معنى (لا إله إلا الله):
- ١١١..... معنى (محمّد رسول الله):
- ١١٣..... بقيّة أركان الإسلام:
- ١١٤..... المرتبة الثانية: الإيمان: أركانه:
- ١١٧..... الإيمان بالملائكة:
- ١١٩..... الإيمان بالكتب:
- ١٢١..... الإيمان بالرُّسل:
- ١٢٤..... الإيمان بالقدر:
- ١٢٦..... الإيمان المُجمل والمُفصّل:
- ١٢٧..... المرتبة الثالثة: الإحسان:
- ١٢٩..... حقيقة الإيمان ومُسمّاه:
- ١٣٢..... من خوارم الإيمان والتّوحيد:
- ١٣٨..... الآخرة:
- ١٣٨..... عذاب القبر ونعيمه:
- ١٤٣..... البعث والحشر:

الشفاعة الكبرى:	١٤٤
الحساب:	١٤٦
الأهوال والجنة والنار:	١٥٠
رؤية المؤمن لله في القيامة:	١٦١
الحقوق ومكارم الأخلاق:	١٦٥
حقُّ الله، وشرط صحَّة العمل:	١٦٥
حقُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	١٦٨
حقُّ الصَّحابة:	١٧١
حقُّ الوالدين والعلماء والأقارب:	١٨٠
لزوم الجماعة، وطاعة وليِّ الأمر:	١٨٤
الولاء والبراء:	١٨٨
مكارم الأخلاق:	١٩١
الخاتمة	١٩٩
فهرس الموضوعات	٢٠١

